

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور "خنشلة"
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية



جماليات المكان في رواية "باب الزوار" لمحمد اسماعيل

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب واللغة العربية

تخصص : أدب حديث ومعاصر

تحت إشراف الأستاذة :

* سامية بوعلاق

إعداد الطالبتين :

* ذكرى عراب

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
ميلود رقيق	أستاذ محاضر - أ -	عباس لغرور - خنشلة -	رئيسا
سامية بوعلاق	أستاذ محاضر - أ -	عباس لغرور - خنشلة -	مشرفا ومقررا
عبد المالك بن شافعة	أستاذ مساعد - أ -	عباس لغرور - خنشلة -	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية :

1444-1445 هـ / 2023 - 2024 م

الإهداء

الحمد لله حبا و شكرا و امتنانا , ماكنت لأفعل هذا لولا فضل الله

فالحمد لله على البدء و على الختام.....

أهدي هذا النجاح إلى نفسي الطموحة جدا لقد ظننت أنني لا أستطيع و لكن من قال أنا لها
نالها و إن أبت رغما عنها أتيت بها و ها أنا اليوم أختم بحث تخرجي بكل همة و نشاط
فالحمد لله . اللهم لا تجعله آخر عهدي من العلم , و اجعلها خير بداية لطريق أعظم , اللهم
بارك لنا في عملنا و انفعنا بما علمتنا.

أهدي ثواب هذا البحث إلى ضلعي الذي لايميل ألى من علمني القيم و المبادئ غلى من
لايفصل اسمه عني إلى فرحتي الدائمة و مصدر قوتي الذي لطالما عاهدته بهذا النجاح و
ها أنا اتممت عهدي و اهديته إليك (أبي الغالي حفظه الله)

و أهدي ثمرة جهدي و دراستي و فرحتي المنتظرة إلى نبراس أيامي ووهج حياتي إلى التي
ظلت دعواتها تضم اسمي دائما إلى من أفنت عمرها في سبيل أن أحقق طموحي و أحلق في
أعالي المراتب (أمي الغالية حفظها الله)

و إلى ملهمي نجاحي و صنّاع قوتي و صفوة أيامي , سلوة اوقاتي , إلى الشموع التي تنير
لي الطريق دوما (إخوتي)

و إلى من مدت يدها في اوقات الضعف و راهنت على نجاتي و نجاحي و تذكرني بمدى قوتي
و استطاعتي التي لا تحبطني و تؤمن بشجاعتي مهما ضعفت و ارتخيت و اقفة خلفي مثل
ظلي مهما كثرت تخبطاتي رفيقة قلبي (فاطمة)

" ما سلكننا البدايات إلا بتيسيره و ما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه و ما حققنا الغايات إلا بفضلته

فالحمد لله "

ذكرى

شكر وتقدير

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله الكريم.

و الحمد لله الذي تتم بفضل الصالحات

بدايةً اقول إن كان من واجب الباحث الاعتراف بالفضل

والشكر بعد حمد الله على تيسيره السبل و توفيقه .

فإني أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة " **بوعلاق سامية**"

التي رافقتني طيلة مدة إنجازي لهذا البحث , و لم تبخل عليا بجهدا

ووقتها

فأدامها الله صرحا شامخا في ساحة العلم.

و إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي.

كما أشكر العائلة الكريمة على وقوفها معي و صبرها علي حتى هذا اليوم

دون أن أنسى كل من أعانني في عملي هذا سواء بنصيحة أو بمرجع .

إلى كل هؤلاء مرة اخرى أوجه شكري و امتناني.

مقدمة

إن المكان واحد من أهم عناصر البناء الروائي، فهو المرتكز الذي ينهض عليه بناء الرواية الشامل، وبه تضمن تماسكها الفني، فالرواية والمكان قرينان. أين تحتاج الرواية إليه لتؤسس بناء عالم شخصها و تشد به أواصر العلاقة مع بقية عناصرها، كما أنه محتاج لها لتعينه على تجلية صورته و الكشف عن دلالاته، فالمكان له صلة وثيقة بالفن الروائي.

و قد ظلت دراسة المكان كعنصر، على أهميته و علو شأنه في النصوص الأدبية بشكل عام و الرواية بشكل خاص على وجه الخصوص أمدا طويلا غائبا عن أنظار الدراسات الأدبية والنقدية في العالم العربي على وجه التحديد، أين انصب جل اهتمام الدراسات الأدبية على مكونات السرد الأخرى، فأخذت تولي العناية بزمن السرد ووظائف الشخصيات و جمالية اللغة بينما أغفلت عنصر المكان.

من هنا تولد اهتمام البحث في جمالية هذا المكون السردية الذي أغفلته أغلب الدراسات النقدية على الرغم من أهميته كعنصر من عناصر البنية السردية لتأثيره في سيرورة الحكى و مجال تفاعل باقي العناصر الأخرى.

وقع إختياري على رواية "باب الزوار" للكاتب المصري محمد اسماعيل . و يقف وراء إختياري لهذا النص الروائي للدراسة النقدية دوافع من أبرزها :

• عدم تعرضي لأي من الدراسات و الأبحاث التي تناولت العملين الروائيين ل "محمد اسماعيل" بالدراسة .

• رغبتى في تقديم دراسة تطبيقية حول المكان، و لأن رواية "باب الزوار" يحتل فيها المكان دورا بارزا.

ومن هنا ينطلق البحث من إثارة إشكالية المكان و دلالاته في رواية "باب الزوار" و يهدف للإجابة على التساؤلات التالية :

- كيف تعامل الروائي مع المكان؟
- ما الفرق بين المكان ، الفضاء و الحيز ؟
- ما علاقة المكان ببقية عناصر العمل السردية (المكونات السردية) ؟

- و ما هي الدلالات التي حملتها الأمكنة المختلفة في الرواية ؟
- أين تتجلى جمالية المكان في رواية "باب الزوار" ؟

- كيف يمكن للمكان أن يؤثر جماليات تدفع المتلقي لإكمال قرائتها ؟

و لكشف دلالة المكان في النموذج الروائي "باب الزوار" اعتمدت المنهج البنيوي بالاستعانة بآليات التحليل والوصف و يعود هذا لتناسب المنهج في كشف البنية الجمالية المكانية و تحليلها للتوصل إلى دلالاتها الخاصة .

و ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدمة ,مدخل ,و فصلين , و خاتمة.

تناول المدخل مفهوم الجمال و الجمالية في بعدهما اللغوي و الاصطلاحي .

ثم فصل أول نظري المعنون ب "تحديد المفاهيم و المصطلحات" تناولت فيه المفاهيم المصطلحية حيث بدأت بالمفهوم اللغوي للمكان في القرآن و القواميس العربية ثم المفهوم الاصطلاحي ضامتا تحته البعد الفلسفي و الرأي النقدي .

بعدها مصطلح الفضاء في جانبه اللغوي و الاصطلاحي و انتهاء عند الحيز بشقيه اللغوي و الاصطلاحي هو الآخر .

أما الفصل الثاني و المعنون "بجماليات المكان و علاقته بالعناصر الروائية" فقد خصصته للجزء التطبيقي لرصد أنماط المكان بالإستعانة بثنائية الأماكن المغلقة و المفتوحة و البحث في جمالياتها.في جزء أول أما الجزء الثاني فكان مخصص لعلاقة المكان بالعناصر الروائية (الشخصية , الزمان , الوصف)

و خلس البحث إلى خاتمة ضمت بعض ما توصلت إليه من نتائج و ملحق تناولت فيه ملخصا للرواية و نبذة حول الروائي .و قد إستفاد البحث من جملة من المراجع إتصل بعضها بالمفاهيم المصطلحية (المكان , الفضاء , الحيز) إلى جانب الكثير من الدراسات التطبيقية التي اشتغلت على جماليات المكان و يمكن أن تشير إلى المراجع الآتية :

- جمايات المكان "لغاستون باشلار"

- بنية النص السردي " لحميد الحميداني "
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة " للسعيد علوش "
- جماليات المكان في الرواية العربية " لشاكر النابلسي "

كما لم يخلُ هذا الانجاز البحثي من الصعوبات التي تعلقبت بتشعب الموضوع و الحاجة إلى المصادر الفكرية المتنوعة لما يفرضه النص الروائي من انفتاحٍ على مختلف الفنون و الآداب و كذلك عدم وجود مراجع تطبيقية تناولت رواية "باب الزوار" بالدراسة لكونها حديثة

ولكن حيوية الموضوع و رغبتني بالبحث فيه إضافة إلى توجيهات و مساعدات الأستاذة المشرفة التي هونت الكثير من الصعوبات و دعمها المعنوي الغير محدود, و لم يكن ليستوي البحث بهذه الصورة لولا توجيهات الأستاذة المشرفة بوعلاق سامية التي كانت امتداداً لما تعلمته منها في مشواري الدراسي. لها مني كل التقدير و الشكر و الامتتان .

مدخل : مفاهيم مصطلحية

"الجمال و الجمالية"

أولا : مفهوم الجمال

ثانيا : مفهوم الجمالية

أولاً : مفهوم الجمال :

يعد حب الجمال و التطلع إليه شيئاً فطرياً في الإنسان ، و لكي ندرك معناه و الألفاظ الدالة عليه لا بد من العودة إلى معاجم اللغة العربية و نستقي منها مفهوم هذا اللفظ

1- لغة :

ورد في معجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي" "جَمَلَ الْجَمَلُ : أي يستحق هذا الاسم إذا بَزَلَ و الجمالُ : قطعٌ من الإبلِ بِرِعاثِها و أربابِها كالبقرة و الباقِر..... و الجمالُ : مصدرُ الجميلِ ، و الفعل منه جَمَلٌ يَجْمَلُ....."¹

ربط الفراهيدي اللفظة بالأصل و هو الحيوان (الجمال) ثم أورد الجمال و المصدر منه الجميل فنذهب إلى أن الفراهيدي ربط الجمال بالأصل من الكلمة جمل و لم يبدع كثيراً في تعريف للجمال عكس ما جاء عند ابن منظور في لسان العرب حيث وردت لفظة الجمال في مادة (ج، م، ل) فيقول : "الجمالُ مصدرُ الجميلِ و الفعل جَمَلٌ ، جاملَ الرَّجُلُ مجاملةً : لم يصفه الإيحاء و ماسحه بالجميل ، و أجملَ في طلب الشيء : أتاد و اعتدلَ فلم يفرط ، و جملَ الشيء : أي جمعه ، و الجميلُ : الشحم يُذاب ثم يُجملُ أي يُجمع ، قال ابن السيدة : الجمالُ الحُسن يكون في الفعل و الخلق ، وامرأةٌ حسناءٌ جملاءُ : أي جميلةٌ مليحةٌ ، قال ابن الأثير : و الجمالُ يقع على الصوَر و المعاني و منه الحديث : أنَّ الله جميلٌ يحب الجمال : أي حسنُ الأفعالِ كامل الأوصافِ ."²

هنا نجد أن ابن منظور انه ربط الجمال بجمال الفعل و الخلق وجعل كل منهما مكملًا للآخر ، كما أورد لفظة الكمال و جعلها مساوية للجمال ، فالكمال لديه هو الشيء الجميل . هذا ما يمكن أن يُحسب له في تفصيله على تعريف الخليل الذي جاء مختصراً بسيطاً، و رغم كل هذا فلا يمكن إنكار القيمة التي نستخلصها من التعاريف اللغوية للخليل في معجمه العين .

¹ - الخليل ابن احمد الفراهيدي ، العين ، مرتبا على حروف المعجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2003م، ج3 ، ص 260 .

² - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ج، م ، ل) مح06 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م، ص 202.

و حسب التسلسل التاريخي الذي نحاول إتباعه في هذه الدراسة ننتقل الآن إلى ما ضمه الأدب الحديث في معجم جميل صليب حيث يقول : " أن الجمال مرادفٌ للحسن وتتناسب الأعضاء، و كمالُ الحسنِ يتمثل في ملامح الوجه المشرقة و حلاوة العينين، و جمالٍ في الأنف و توافقٍ في الأشكال و الإنسجام في الحركات لهذا يكون الشيء جميلاً و تقبله النفس".¹

بالنسبة لهذا التعريف فهو يربط الجمالَ بشكلٍ بما يشترط بالتناسبِ و التناظرِ، و أورد هو الآخر لفظة الكمال التي جاءت عند ابن منظور إلا أن جميل صليب ربط الجمال و صفة الجمال بأفنان و أفرد بها و ذلك بتوافق شكله، الشيء الذي يجعل النفس تقبله و تُقبل عليه .

ومن خلال ما أوردت من تعاريف لغوية للجمال من المعاجم العربية القديم و الحديث منها ، فنجدها تتفق في أن الجمال: نعني به الحُسن و البهاء ، و الحسن في الخلق و الخلق ، كما ارتبط الجمال بصفة الكمال و تعلق بالإنسان فقط .

2- اصطلاحاً:

إذا أردنا التعرف على معنى الجمال من الناحية الاصطلاحية . فإننا نجد اختلافاً و تنوعاً في الآراء بالفلاسفة و الباحثين . فيرى الفلاسفة الجمال يرتبط بحاسة البصر . كما أثار هذا المصطلح إهتمام أفلاطون . حيث جاء في كتاب فلسفة الجمال و الفن لفايزة أنور شكري رأيته للجمال : " الجمال هو الخير ، و أنه وجود حقيقي ، لأن النفس الكلية بوصفها فيضاً من الواحد الذي هو مصدر كل خير و جمال كل مستشرق عليه لا بد أن يكسب من الجمال قدرته على القبول أو التلقي".² نجد هذا التعريف يجمع كل ما جاء عند أفلاطون في وتقسيمه للجمال فالوجود الحقيقي للجمال يعني أن الجمال شكلي ، الذي يأتي فيضاً من جمال الواحد و هو الجمال المثالي المطلق ثم اكتساب قدرة القبول و التلقي تعني الجمال الأخلاقي و جمال المعرفة و بالحديث عن أن الجمال فيضٌ من الواحد فهذا يأخذنا إلى الثقافة الإسلامية العربية حيث : "أن الجمال فطرة و غريزة أوجدها الخالق في تركيبه الإنسان و طبيعته ، فهو من آيات الله في الكون." و من هذه الآيات قوله تعالى :

¹ - جميل صليباً : المعجم الفلسفي - بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية - ج1(د ط) ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، 1982م ، ص 407 .

﴿إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الآية:6

ونجد من أكثر المتصوفين تحليلاً للجمال هو "أبو حامد الغزالي" حيث يقول : " واعلم أن كل جمال محبوب مدرك ذلك الجمال ، و الله تعالى جميل يحب الجمال ، و لكن الجمال إن كان تتناسب الخلقة و صفاء اللون أدرك بحاسة البصر و ان كان الجمال بالجلال و العظمة و علو الرتبة و حسن الصفات و الأخلاق و إرادة الخير لكافة الخلق و إفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنية ، أدرك بحاسة القلب ".¹ هنا يميز الغزالي بين الجمال الظاهر و الجمال الباطن و اختلاف إدراكه و الشعور به بين البصيرة و الحواس .

يقر كانط (Immanuel kant) أن " جمال العمل الفني يركز على البنية بغض النظر عن مضمونها فالجمال عنده يكمن في الأشكال التي يختفي فيها كل مضمون ، كالنقوش و الزخارف و الزينة في شكل الأوراق ، التي لا معنى لها في نفسها ".² هنا نجد أن كانط اهتم بالجمال على حساب ما يسمى بالمنفعة فيُغفل المضمون و يهتم بالشكل الخارجي فقط للعمل الفني.

ومن خلال ما سبق فلجمال أهمية خاصة عند الفلاسفة و العرب المسلمين لإبراز قيمته المتجلية في حب الله . فنستخلص أنه بالرغم من تعدد الرؤى و اتجاهات حول مفهوم الجمال إلا أنها جميعاً تصب في معنى واحد ، أنه علم يبحث في ظهور شيء في أبهى منظر من الأعمال الفنية . فالنص الذي لا يحمل قيمة جمالية لا معنى له .

ثانياً : مفهوم الجمالية :

علم الجمال أو فلسفة الجمال أو الإستطيقا كلها مصطلحات للجمالية و يعود هذا بطبيعة الحال إلى إشكالية المصطلح عند الترجمة . و لعل أول سؤال يراود القارئ للنصوص الأدبية : كيف يمكن الحكم بجمالية النص ؟ و ما التأثير الذي تخلفه هذه الجمالية ؟ و بذلك فإن لقاء النص يستلزم التطلع إلى جمالياته . و المتتبع لهذه الظاهرة يجد أنها موهلة في القدم بدايةً مع أفلاطون و هذا ينشأ مع نظرية المثل إذ تعد

¹ - وفاء محمد ابراهيم ، علم الجمال ، قضايا تاريخية معاصرة، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د،ط)، (د،ت) ص 42

² - ينظر : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د،ط)، 2004م ص

الأساس الذي أثبتت عليه فلسفته في الفن و الجمال فنجد أن "اتصال فلسفة الجمال كان بالتفكير النظري المجرد من بحوث عهد نظرية المنل لأفلطون حيث كان يعنى بالبحث في الماهيات الثلاث :الخير ، والجمال و الصدق"¹ و بالتالي فالجمالية باب من الفلسفة يبحث في مقاييس وشروط نظريات الجمال و ينقسم إلى نظري عام و عملي خاص .

و لعل أبو حيان التوحيدي من العرب القدماء الذين ارتبطت المنظومة الجمالية عنده بصفة الكمال . حيث يعود هذا إلى المجتمع العربي في عصر ما قبل الإسلام الذي تحكمه الاستساغة و الذوق في الحكم على جمالية النص . و لم يطل الأمر أن جاء الاسلام و دعى إلى التدبر في مظاهر الكون فانتقل الحكم من الحسي الذوقي إلى أفاق أبعد .

أما عند المحدثين فنجد السعيد علوش يقول : "الجمالية هي نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية ، للإنتاج الأدبي و الفني . تنزل جميع عناصر العمل في جماليته ، و ترمي النزعة الجمالية إلى الإهتمام بالمقاييس الجمالية ، بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية ، انطلاقاً من مقولة (الفن للفن)".²

حيث نجد أن السعيد علوش يركز على جمال العمل النفسي بعيداً عن المقياس الأخلاقي . و تفضيل الحس الجمالي على مختلف الإعتبارات الأخرى .

و من ماسبق يتضح أنه لا وجود لمفهوم محدد لمصطلح الجمالية ذلك لأن هذا المصطلح يأخذ أوجهها و أشكالاً مختلفة ، فيأخذ من كل عصرٍ شكلاً يميزه عن العصر الذي سبقه و الذي يليه .

إلا أن جميع مفاهيمه تتفق في نقطة واحدة و هي أنها فرع من فروع الجمال . تسعى للكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الأدبية ، و الفنية على سواء .

¹ - عصام محمد الشنطي ، الجمالية الواقعية في نقدنا الأدبي الحديث ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1979م، ص 19-20 .

² - سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض و تقديم و ترجمة)، ط1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان ، 1985م ، ص 62

الفصل الأول : تحديد

المفاهيم والمصطلحات

أولا : مفهوم المكان .

ثانيا : مفهوم الفضاء.

ثالثا : مفهوم الحيز.

أولاً : مفهوم المكان :

إن البحث في مفهوم المكان و دلالاته يفرض علينا التطرق أولاً لدلالاته اللغوية ثم الاصطلاحية. إذ لا يمكن أن نؤسس، لمفهومه بعيداً عن معناه اللغوي و الاصطلاحي.

1- لغة :

عند وقوفنا على مفهوم المكان في القرآن الكريم ، إذ وردت لفظة المكان في العديد من المواضع وحملت دلالاتٍ و معانٍ مختلفة منها :

ما يدور حول معنى الموضع و المحل

قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ [مريم]¹

وما جاء بمعنى المنزلة :

قوله تعالى : ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مريم]² : 75

ومنها ما جاء بمعنى بدلا منه :

قوله أيضا : ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف]³ : 78

و بذلك فان الموضع أو المحل ، و بدلا منه ، و المنزلة هي من أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم.

أما في القواميس اللغوية فقد جاء لفظ المكان حاملاً لمعاني متعددة نذكر منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (م، ك، ن) فيقول : " المكانُ الموضعُ و الجمعُ أمكنةٌ أفذاًلٌ و أفذلةٌ و أماكنُ جمع

¹ - القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة مريم ، الآية 16 .

² - القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآية 75 .

³ - القرآن الكريم ، سورة يوسف، الآية 78 .

الجمع ، و العرب تقول : كن مكانك و قم مكانك (...) دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه و الجمع أمكنة.¹

نرى هنا اهتمام ابن منظور كان بدلالة الموضع

أما في قاموس المحيط ف جاء "المكانُ فلانٌ عند السلطان يمكُنُ مكانةً ، عَظُمَ عنده و ارتفع و صار ذا منزلةٍ الجمع أمكنةٌ و أماكنٌ و أمكنٌ قليلاً." ² هنا يأخذ المكان معنى المقام في تعريف بطرس البستاني

كما جاء في الوسيط أنه : " المكان جمع أمكنةٍ و أمكنَ موضعٌ كون الشيء و المكانةُ جمع المكان و الوضع ، و المنزلةُ ، يُقال مكينٌ فيه أي موجود فيه." ³

2- اصطلاحاً :

المكان هو من الأركان الأساسية للعناصر السردية المشكلة لمادة المتن الحكائي " حيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان ، فلا وجود لأحداث خارج المكان ، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان مجدد و زمان معين . " ⁴ شغلت قضية المكان اهتمام الفلاسفة القدماء ، حيث يقول أفلطون " أن المكان هو الحاوي للأشياء " و اعتُبر هذا التعريف اللبنة الأولى في تحديد ماهية المكان اصطلاحياً. كما يعرفه الفرابي فيقول : " المكان موجودٌ بين لا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به." ⁵

أما عند الفلاسفة المحدثين ، فقد أخذ المكان لديهم مفهوماً و اهتماماً خاصاً . فيقول ديكارت (René Descartes) : "المكان هو ماهية الأشياء ذاتها و جوهرها المادي فامتداد المادة و تحيزها ليس عرضاً

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ج، م ، ل) مح06 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص 83.

² - بطرس البستاني : محيط المحيط قاموس مطول اللغة العربية " ، المادة (ح، و، ز) ، مكتبة لبنان ناشرون ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، ص 859 .

³ - ابراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط ، مادة(م،ك، ن) ، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، (د،ط) ، (د،ت) ، ج1 ، ص 309 .

⁴ - محمد بوعزة ، تحليل النص السردى (تقنيات و مفاهيم) ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2010م ، ص 99 .

⁵ - حسن العبيدي : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون الثقافية العامة،مصر،(د،ط) 1997م ، ص 48 .

طارئا عليها ، بل هو صورتها و ماهيتها ، فالمكان إذا جوهرها و ليس في الكون خلاء¹ حيث أن مفهوم المكان في الفلسفة ليس أكثر من تصور عقلي يحدد علاقة الإنسان بالمكان والأشياء.

قد تكون نقاشات الفلاسفة حول المكان هي الجذور الأولى لمشكلة المكان الروائي ، و يرتبط الشكل الروائي بشكل أساسي بالمواقف الفلسفية أين أكدت جهود الفلاسفة قديما و حديثا درجة حساسية الإنسان ووعيه بتأثير المكان و دوره الكبير في تحديد العلاقة بينه و بين العالم الخارجي . و مادفعني لتناول المكان فلسفيا هو محاولة الإقتراب من مفهوم المكان و الإستفادة من فلسفته في بناء التصور الجمالي للمكان.

كما سجل المكان حضورا في الساحة النقدية الغربية ، حيث حاول "غاستون باشلار" (Gastone Bachelarde) تحديد مفهوم له فيقول : " أن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لامباليا ذا أبعاد هندسية فحسب ، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز ، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية ، في مجال الصور ، لا تكون العلاقات متبادلة بين الخارج و الألفة متوازية ."² فنجد أن باشلار هنا يميز بين أماكن الألفة و أماكن النفور .

أما "يوري لوتمان" (Juri Lotman) فيعرف المكان على أنه " مجموعة من الأشياء المتجانسة في الظواهر و الحالات و الوظائف و أشكال المتغيرة الخ و يجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة و هي أننا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنها مكان، يجب أن نحدد هذه الأشياء من جميع خصائصها

ماعدا تلك التي تحدد العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحساب.³

¹ - محمد اليعقوبي ، الوجيز في الفلسفة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط3 ، (دت) ، ص350

² - غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط2، 1984م، ص 31

³ - ينظر : يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا قاسم ، كتاب جماليات المكان لمجموعة من المؤلفين ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط1، 1988م، ص69

ثانيا : مفهوم الفضاء :

1- لغة :

جاء في معجم العين للفراهيدي فضا (فَضُو) الفضاء وهو " المكان الواسِعُ و النَّعْلُ فضا يَفْضُو، يفضوا فهو فاضٍ ، أي واسع " ¹

ف نجد عنده ارتباط الفضاء بالمكان الواسع أي أن الفضاء هو مكان اوسع

جاء في لسان العرب لابن منظور ، تحت مادة (ف، ض، ا) و هو " المكانُ الواسِعُ من الارضِ ... " ²

و يقصد به اوسع مجالات الارض .

كما ورد في معجم الوسيط أنه ، ماتسع من لأرض " ماتسع من الارض أمامها ، و ما بين الكواكبِ و النجوم من مسافاتٍ لا يعلمها إلا الله " ³

هنا نجد أن الفضاء أخذ معنى المسافات الكبيرة بين الكواكب و النجوم و التي تقدر بألاف السنوات الضوئية .

وحسب هذه التعاريف نخلص إلى أن اللغويين أجمعوا على ان الفضاء يعني المكان الواسع من الارض.

2- اصطلاحا :

يعرف الفضاء عبد الملك مرتاض فيقول هو "المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب ، جديد في الإستعمال النقدي العربي المعاصر بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كتبت منذ ثلاثين

¹ - الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، العين ، مرتبا على حروف المعجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1، 2003م، ج3 ، ص327

² - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ج، م ، ل) مح06 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م ، ص228.

³ - المجمع الوسيط مجمع اللغة العربية العامة للمعجمات و إحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط4 ، 2004م ، ص 426 .

عاما ولقد جاء استعماله نتيجة المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية ، خصوصا الفرنسية و الإنجليزية .¹

في هذا الطرح يُظهر **عبد الملك مرتاض** أن " الفضاء "مصطلح أصبح شائع الإستعمال نتيجة التصادم اللغوي الذي حدث بين اللغة العربية و نظيراتها من اللغات الأخرى الفرنسية و الإنجليزية ،حيث ظهرت مشكلة المصطلح التي أراقت الكثير من النقاد، لتتبع المصطلحات بين الترجمة و التعريب . و من بين النقاد الذي خاض هو الآخر في هذا المصطلح **حميد الحميداني** حيث يقول : " أن الفضاء في الرواية هو أوسع و أشمل من المكان ، إنه مجموعة الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة و بطريقة"²

كما يرى **حسن بحراوي** أن " الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاءً لفظيًّا بامتياز".³ يضع **البحراوي** الفضاء في نفس كفة المكونات السردية الأخرى أي أهميته من أهمية المكان و الزمن و باقي المكونات الأخرى .

و بالعودة إلى الحميداني ، حيث يراه أشمل من المكان و يُفصّل الفضاء فيعطيه أربع أشكال تتمثل في :

أ- "الفضاء الجغرافي **l'espace géographique** :و هو المكان الذي تؤدي فيه أبطال الرواية أدوارها.

ب- فضاء النص **l'espace textuel** : و يقصد به السواد من متن الرواية أي الكلمات المطبوعة.

ج- الفضاء الدلالي **l'espace sémantique** : و هو ما خلف السطور في المتن الروائي.

¹ - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد " ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون وو الاداب ، الكويت ، ط1 ، 1998م ، ص 122 .

² - حميد الحميداني ، بنية السرد من منظور النقد الأدبي ، ص 62 .

³ - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 2009م ، ص 27 .

د- الفضاء كمنظور **l'espace comme perspective** : و المقصود أن ابطال الرواية تؤدي الأدوار التي يمنحها إياها الكاتب من خلال وظائفها.¹

جاء تقسيم الحميداني للفضاء كونه فضاءً لفظياً يختص بالرواية .

و يضيف سعيد يقطين في المعنى الاصطلاحي فيقول " أن الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد و أعمق من التحديد الجغرافي ، وإن كان أساساً ، أنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود و المسجد لمعانقة التخيلي ، و الذهني ، و مختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء." ² أضاف هنا السعيد يقطين للمصطلح ميزة الإتساع و إنفتاح المجال الذي لاتحده حدود بالإضافة إلى سمة الإختراق في حياة الإنسان و كيانه .

كما نجد شرف الدين ماجدولين يعرف الفضاء على أنه " حيز ذهني و صورة مثالية لوعي جذري، ترتبط بصلات المصاحبة و التراسل و الجدل . بطبيعة الحال لن تكون كل الفضاءات متساوية في هذا الشأن و إنما ستكون هناك أمكنة مميزة ترتبط بطفرات حضارية ، لهذا لطلالما وجدنا هذه الفضاءات تجذب المتخيل الإبداعي."³

هنا يُدخل الناقد مصطلحاً جديداً هو الحيز الموضوعي و الحيز الذهني فمن الطبيعي أن تختلف الفضاءات فلا تكون متساوية في جميع الخصائص فتوجد فضاءات تكون مصدراً لمتخيل ابداعي و أخرى لا تلهم إلا القليل . و حين يُراد التمييز بين مصطلحي المكان و الفضاء ، فإن مفهوم المكان "ينحصر في المكان المفرد داخل النص الأدبي بينما يدل الفضاء على مجموعة الأمكنة التي تدخل في شبكة من العلاقات فيما بينهما داخل النص ."⁴

¹ حميد الحميداني : بنية النص السردى من منظور النقد الادبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991م ص 64 .

² عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، (د، ط) عالم المعرفة ، الكويت ، 1998م ص 192

³ شرف الدين ماجدولين ، الصورة السردية في الرواية و القصة و السينما ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2010م، ص 40

⁴ محمد علي البنداق ، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد ، المجلة الجامعة ، جامعة الزاوية ، كلية الآداب ، الزاوية، ع 15 ، 2003 ، ص 21

هذا يعني أن المكان هو رقعة محددة بينما الفضاء أعم من هذا إذ أنه يشتمل على المكان و يضم ما يسوده من علاقات و عادات... هذا ما يجعله يملك من السهولة ما يحشره في مجالات الفن المختلفة .

و من خلال هذا العرض البسيط لمفهوم الفضاء ، فيتضح أنه هو الأقرب إلى الإستعمال في الدراسات ، كونه الأكثر شمولاً من المكان ، و هناك من اصطلح على هذا الموضوع بكلمة " الحيز " و جعله بديلاً لكلمة "الفضاء".

ثالثاً : مفهوم الحيز :

1- لغة :

ورد في معجم العين للفراهيدي أن " حيز الدار : ما انضم إليها من المرافق و المنافع ، و كلُّ ناحيةٍ حيزٍ على حدى "1

كما جاء في لسان العرب " و الحيزُ : السيرُ الرّويدُ و الشّوقُ اللّينُ ، و حاز الإبلُ يحوزُها و يحيزُها : سارها في رفقٍ."2

و جاء في الصحاح أيضا " الحيزُ ما انضمَّ إلى الدارِ من مرافِقِها ، و كلُّ ناحيةٍ حيزٍ و أصله من الواو "3

و في هذا السياق يرى البستاني أن الحيز " حازَ الشيءَ يحوزُه حوزاً و حيازَةً جَمعه و ضمّه إلى نفسه، و الإبلُ حوزاً ساقها ليناً أو شديداً ، و حوزَ الإبلَ تحويزاً وجهّها إلى الماءِ ليلةَ الحوزِ."4

ومن هذه المفاهيم اللغوية للحيز نفهم أنه أضيق مجالاً من المصطلحين السابقين.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تح : عبد الحميد هندوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003م ، ص 176 .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، مج3 ، ص 488 .

3- اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، تاج الصحاح و صحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1956م ، ج3 ، ص 876 .

4- بطرس البستاني : محيط المحيط "قاموس مطول اللغة العربية " ، المادة (ح، و، ز) ، مكتبة لبنان ناشرون ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، ص 303-304 .

2- اصطلاحاً :

يعد الحيز من المصطلحات المرادفة لمصطلح الفضاء ، في الدراسات الأدبية و من الدارسين من يفضل استخدام مصطلح الفضاء بدلا من الحيز .

فنجده **عبد الملك مرتاض** من الذين استحسنوا مصطلح الحيز على نظيره فيقول "الحيز عالم دون حدود ، و بحر دون ساحل ، و ليل دون صباح ، و نهار دون مساء إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات و في كل الآفاق."¹ نفهم من خلال هذا أن مرتاض يرى أن الحيز لا تحده أية حدود.

و يعزز رأيه هذا بأنه يعدُّ الحيز من المكونات السردية فيقول: "إذا كان للمكان حدود تحده و نهاية ينتهي إليها فإن الحيز لا حدود له و لا انتهاء له ، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه ككتاب الرواية فيتعاملون معه بناءً على ما يودون من هذا التعامل حيث يُعتدى الحيز من بين مكونات البناء الروائي كالزمان و الشخصية و اللغة و لا يجوز لأي عمل سردي (حكاية ، خرافة ، قصة ، رواية) أن يظرب بمعزل عن الحيز الذي هو عنصر مركزي في تشكل العمل الروائي ."² و هذا يعني أن للحيز نفس أهمية الزمان و الشخصية و اللغة في الرواية ، و لا يمكن الاستغناء عنه في اي عمل روائي.

و يرى **مراد عبد الرحمان مبروك** أن الحيز " أكبر من الجغرافيا مساحةً و اشسعُ بعداً و أنه امتدادٌ و ارتفاع و طيران و تحليق و نجوم و بحار ، و انطلاقٌ نحو المجهول و عوالم لا حدود لها ."³

يأخذنا هذا التعريف إلى أن الحيز قادر على أن يشمل ما يشمله المكان و الفضاء أي أن الحيز مالا يحده حدود و لا ينتهي بنهاية .

و يميّز **عبد الحميد بورايو** بين الحيز المكاني و الحيز النصي فيقول: " الحيز المكاني المادي ، و يتميز بالضيق ، فهو يشبه صومعة الناسك، على حد تعبير النص ، لا تربطه بالعالم الخارجي ،سوى

¹ - عبد الملك مرتاض ،في نظرية الرواية ، ص 125 .

² - ينظر :عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردى "معالجة تفككيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، ط4، 1995م، ص 245.

³ - مراد عبد الرحمان مبروك ، جيوبوليتكا النص الادبي،تضاريس الفضاء نموذجاً دار الوفاء لندنيا للطباعة و النشر،الاسكندرية،ط1، 2009م، ص68 .

نافذة ضيقة، أما الحيز النصي فيتمثل في الأوراق ، الأنا الرواية و المروي عنها و المروي لها هموم الحاضر المظلم و مُمضات الماضي المشرق.¹

نخلص من هذا القول أن الحيز المادي ضيق على عكس الحيز النصي ، الذي يملأه صاحبه بكل ما يريده التعبير عنه سواءً تعلق الأمر بما مضى أو بما لم يحدث .

¹ - ينظر : عبد الحميد بورايو ، منطق السرد (دراسة في الفصاة الجزائرية الحديثة) لديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية،بن عكنون،الجزائر،ص 156

الفصل الثاني : جماليات المكان

وعلاقته العناصر الروائية

أولا : الاماكن المغلقة و الاماكن المفتوحة

ثانيا : المكان و علاقته بالعناصر الروائية

أولاً : الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة :

في كل رواية أمكنة تتوالد و تتفرع حسب ما تقتضيه الأحداث و الشخصيات و تختلف هذه الأمكنة في صفاتها و أشكالها لأنها ليست متشابهة ، لِمَا لكل مكانٍ خصوصية مميزة.و تعتبر الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة من الثنائيات الضدية التي عمل عليها دارسوا المكان الروائي .

و فيما يلي سأقوم بدراسة جماليات المكان في رواية "باب الزوار" لروائي "محمد اسماعيل" بدقة وذلك بالفصل بين جماليات الأمكنة المغلقة و المفتوحة ، و كذا محاولة تحليلها في هذا الفصل.

1. الأماكن المغلقة :

هي الأماكن التي تأوي الإنسان ،فهي أماكن العيش و السكن ، تحوي الإنسان بصفة إختيارية او إجبارية، حيث يعرفه مهدي عبيدي فيقول : "هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته و مكوناته ،كغرف البيوت و القصور ، فهو المأوى الإختياري و الضرورة الاجتماعية او كاسجية السجون.فهو المكان الإجباري المؤقت فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة و الأمان ، او قد تكون مصدراً للخوف"¹

و برؤية أخرى "فهي الأماكن التي تكون مساحتها محدودة و هي أماكن إقامة الشخصيات"²

فنخلص إلى ان الأماكن المغلقة هي أماكن تتميز بالإغلاق ، حيث حددت مساحتها و مكانتها ، تكون إما إختيارية حاملة للألفة و الطمأنينة كالبيوت و القصور....، كما تكون إجبارية حاملة للخوف و الوحشة كالأقبية و السجون.

أ- البيت :

يعتبر البيت كما هو متعارف عليه المأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات حاملاً كل معاني الراحة والاطمئنان.

¹ - مهدي العبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة(حكاية بحار،الدقل،المرفأ البعيد) ،ط1 منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2011 ، ص 43.

² - ينظر : ياسين النصير ، الرواية و المكان،(د،ط)،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،العراق 1986 ،ص 45 .

"إن البيت كفضاء للسكن ، يجسد قيم الألفة بامتياز. ولأن البيت مأوى الإنسان ، فإنه يمثل وجوده الحميم ، و يحفظ ذكرياته و يتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية...."¹

نفهم من هذا أن البيت يرتبط بشكل وثيق بالإنسان و باللحظات التي يعيشها الإنسان فيه السعيدة او التعيسة منها .

أحداث روايتنا تدور في التسعينيات أين كانت الجزائر تعيش فترة جد حساسة "العشرية السوداء"

حيث البيت هو المأمن و الطمأنينة وسط الجرائم التي تحدث بشكل يومي و مفرع

ب- بيت السيد صالح :

وهو بيت بطلتنا فاطيما أين تقطن مع عائلتها المكونة من والدها السيد صالح و اختيها ووالدتها السيدة باهية ، حمل هذا المنزل كل معاني التشتت و الضياع وسط قهر عاشته السيدة باهية من طرف زوجها ما جعلها تهرب مع ابنتها الصغيرة إلى بلجيكا مخلفةً ورائها أسرة كاملة ، متخلفة عن بيتها ، بناتها، زوجها ، ووطنها . يقول محمد اسماعيل واصفاً استقبال فاطيما للخبر " ...تعجبت من ضوضاء تصدر من الطابق الأول حيث تسكن ، مدت بصرها للأعلى فوجدت باب شقتها مفتوحا و الداخل يعج بالحركة و الضجيج ..."²

كما حمل البيت الطابع التقليدي الجزائري مع التصميم الفرنسي يقول الروائي : " انتهت فريال من الطعام و اتجهت نحو شرفة المطبخ الواسعة افترشت فراء الكبش الملقى على الارض..."³

هنا اللمسة التقليدية في البيت الجزائري دائما ما تكون حاضرة في الديكور أو التصميم ، من حيث أن المنازل واسعة و الشرف الكبيرة وغيرها، يحمل هذا التشبث بالأصل و التاريخ الجزائري .

¹ - الاخضر بن السايح ، سطوة المكان و شعرية القص في رواية ذاكرت الجسد "دراسة في تقنيات السرد " ، عالم الكتب الحديث ، أريد ، الاردن ، ط1، 2011م، ص 38.

² - محمد اسماعيل، باب الزوار، دار العين، قصر النيل، القاهرة، ط1، ص 08.

³ - الرواية ، ص 32 .

ج- بيت السيد حسن :

المدرس المصري حسن أستاذ لغة عربية يعمل في أحد المدارس بباب الزوار في الجزائر العاصمة يحمل بيته ديكور يذكره بمصر بلده ، من اصالة و ثقافة . كما يحملُ منزله معانٍ من الغربة و الوحدة يقول محمد اسماعيل : " مكتبة كبيرة عامرة تشغل الحائط المصمت يتوسطها تلفزيون يقابل المكتبة أريكة طويلة تعلوها ساعة حائط تشير إلى ما بعد الظهيرة بقليل.فتح الستارة لينير المكان ، ألقى نظرة على الشارع الصغير من شبাকে المغطى بالحديد . لم يتغير شيء بالخارج ، وحده الداخل اصبح فارغا كثيبا.¹

وصف الروائي بدقة مكتبة الأستاذ حسن و السكون الذي يتخلل هذا المنزل كونه يعيش بمفرده بعد أن تخلت عنه زوجته خوفا من الأوضاع الغير مستقرة في الجزائر .و الحالة النفسية التي آل إليها و كيف أن المكان بقيّ ، على حاله و ما تغير فقط هو الداخل أي الشعور و الأفكار و هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن المكان تتحكم به الشخصية و الحالة الشعورية التي تعيشها .

د- بيت المدرسة رتيبة:

تملء روح الشخصية المكان كما تأثر حالة الشخصية النفسية أيضا في البيت و الحال مع رتيبة معلمة الموسيقى المرهفة بأحاسيس ، و المفعمة بالحيوية .

فيقول محمد اسماعيل واصفاً منزل رتيبة " المنزل تقليدي من حيث التصميم ، طرقة أمام الباب تفضي إلى الصالة يجلسان فيها الآن . السفارة في الداخل قريبة من المطبخ. قضبان حديدية تغطي كل الشبائيك لكنها لا تمنع صوت المفرقات التي يملا الاطفال بها الشوارع ضجيجا . البارود و مشتقاته هو الأكثر رواجاً في أسبوع المولد ، كان ما بالبلد من تفجيرات حقيقية لا تكفي.²

وصف الروائي البيت انطلاقاً من الهدوء و التصميم الجميل حيث تكمن جماليته في الروح المرحة التي تضيفها المدرسة رتيبة له .

¹- الرواية ، ص 37 .

²- الرواية ، ص 183.

و من بين الأنساق المضمرة في تعمد محمد اسماعيل لذكره تفصيلا القضيان الحديدية التي تغطي الشبابيك. ان الإرهاب زرع الرعب في الفرد الذي يقطن الجزائر.

فلم يقتصر البيت في الرواية على بيت واحد من بيوت شخوص الرواية إنما تنوعت البيوت و تنوعت الدلالات التي يحملها كل بيت منها ببين الألفة و الوحدة و التعاسة و التشتت و الضياع و غيرها من الأحاسيس التي راودت شخصيات الرواية.

هـ - الغرفة :

هي مكان محدود المساحة مغلق و صغير، غالباً ماتكون مكان الراحة و الإطمئنان للشخص ، فهي المكان الخاص به و الذي يكون فيه حراً تماماً ، و هو الطبيعي .

في روايتنا لم تخرج الغرفة كثيرا عن هذه الدلالة و فكان محمد اسماعيل يصف جمالية الغرفة من خلال الشخصية و ما تمر به من أفكار، و ارتباط حالتها النفسية بالمكان فيقول : " قادتها إلى غرفة صغيرة ذات سرير مفرد سقفها مائل يكاد يلمس الأرض عند ضلعها المواجه للباب." ¹ و وصف هنا الروائي الغرفة من الناحية البنائية المعمارية مساحتها و تصميم جدرانها .

بمقارنة هذه الغرف بما ورد بوصف بيت السيد صالح الذي هو منزل السيدة باهية هي الأخرى الذي تخلت عنه، نجد أنه لامجال للمقارنة بين اتساع البيت و الغرف مع هذه الغرفة الصغيرة ، و الموجودة في سقف البيت . ثم ينتقل الروائي من الوصف المادي للغرفة إلى الوصف المعنوي الذي تضيفه الشخصية لها فيقول : "بعد انتصاف الليل ، تحتضنها باهية بشدة في سريرهن الصغير تحت السقف المنحني بالحجرة ما إن يطفا الضوء حتى تسرح كل واحدة في عالمها." ² تتأثر الحالة النفسية للشخصية في طبيعة المكان ، فتحولت الغرفة من كونها مكاناً مادياً يحمل معنى الأمن و الراحة إلى مكان يحمل معنا من الإذلال و القهر الذي تعيشه الأم و ابنتها .

¹ - الرواية ، ص42.

² - الرواية ، ص76.

و- الحانة :

هو مكان للهو يلجأ إليه الإنسان هرباً من الواقع ، ليشرب الخمر و يبتعد عن حاضره أو ربما محاولته العيش في زمنه الوهمي و استرجاع الماضي .

جاء ذكر الحانة في الرواية وهو مكان يتردد عليه السيد صالح يومياً فيقول الروائي " في مثل هذا الوقت من كل يوم يكون قد أنهى عمله بمشغله و مر بالحانة الصغيرة المقابلة للبحر بباب الواد.¹ يتعبر روتيناً يومياً للسيد صالح ارتياد الحانة رغم أنها مكان نفور بالإعتبار الديني و الاجتماعي ، إلا أنها المكان الذي يرتاح فيه السيد صالح من متاعب الحياة و هو يعترف جرعات الخمر.

يقول محمد اسماعيل : " أخرج زجاجته من كيسها و عاجل سدادتها بأداة كانت في جيبه ثم أخذ يعب منها ما استطاع ، صوت ابتلاعه و زمجرتة كان فوق قدرتها على الإحتمال"²

لم يهتم السيد صالح بأي شئ غير الحانة، و زجاجة الخمر التي تنسيه واقعه و تعيده إلى ماضٍ كان فيه خياط الجميلات الفرنسيات.

فكانت الحانة مكان راحة و اطمئنان بالنسبة للسيد صالح رغم ما تحمله من معاني نفور و إنحلال خلقي و إجتماعي و كان الخمر هو السبب الرئيسي في هرب زوجته ، و دمار عائلته.

ز- السيارة :

هي مركبة لتنتقل الشخصا عبر الطرقات ، و تسهيل تنقلهم من منطقة إلى أخرى

يقول محمد اسماعيل : "أوقف حميد سيارته أمام باب منزل فريال بمنطقة بلكور قبل أن ينطلق مسرعاً إلى داره بنادي الصنوبر"³

1 - الرواية ، ص 18.

2- الرواية ، ص 20.

3- الرواية : ص 21.

في هذا الموضع تعمد الروائي ذكره للمناطق التي يقطن فيها كل من حميد و فريال، و هي مناطق يسكنها أثرياء الجزائر، أين يملكون السيارات و ليسوا مثل بقية السكان متوسطوا الحالة الاجتماعية .

و يقول أيضا محمد اسماعيل : " لم يسألها كيف سيلتقيان ثانية فهي تعرف أين تجده . فقط اكتفى بوضع بده مكان مقعدها بالسيارة ملتصقا بقايا دفاء خلفته و انطلق بهدوء ناحية منزله"¹

بالنسبة للسيد محسن فقد خرجت السيارة من كونها وسيلة تنقل فقط لتصبح مكان ألفة يُأنس فيه وحدته بالتسكع مع فاطيما .

ح- الحمام :

الحمام هو من الأماكن التي تنقلنا مباشرة إلى الثقافة المغاربية و هو مكان الراحة بعد الإرهاق و التعب و تجديد الجمال بالنسبة للمرأة .وبما أنه يجسد الثقافة المتوسطية فهو يحمل من التصميم الهندسي ما يصله بهذه الثقافة .

يقول محمد اسماعيل : ".....الحمام المغربي ملاصق لجدار المسجد الجانبي باب صغير مستطيل يعلوه عقد أندلسي على شكل نصف دائرة مكتوب فوقها بالعربية "حمام لقمان" تدخل من الباب إلى الساحة الداخلية ; بلاط قديم متآكل الأرضية تتوسطه نافورة رخامية معطلة لا تتناسب مع ضيق الساحة و لا مع حقارة دهان الحوائط ، تدور حولها لتصل للمحاسبة الجالسة على مكتب خشبي قديم أدرجه مملوءة بجرعات الصابون البلدي و عبوات صغيرة من الغسول و الأكياس المغربية السوداء شديدة الخشونة ، تفضل عليها الجزائرية الملونة الناعمة "²

في هذا المقطع قام محمد اسماعيل بوصف بشكل جد دقيق للحمام، من حيث تصميمه الهندسي الأندلسي و ما يحمله من مواد مغربية و جزائرية الصنع و يكمل وصفه قائلا : " دفعت الباب الخشبي لتدخل ساحة الحمام ، الأحواض الرخامية متراسة في وسط الحائط تكاد تتلاصق ، أمام كل حوض مقعد حجري صغير مثبت في الأرض و فوقه صنوبران نحاسيان أحدهما بارد و الآخر ساخن."³

¹- الرواية : ص 101.

²- الرواية : ص 188.

³- الرواية : ص 188.

القارئ لهذا الوصف الدقيق للحمام يحمله مباشرة إلى صورته الحقيقية، كون محمد اسماعيل نقل صورته بتفصيل كبير . تواجد الحمام في بلجيكا بهذا الشكل فهو نقل للثقافة المغاربية إلى المجتمع الغربي و الفرنسي خاصة .فهذا الحمام بنافورته الرخامية و تسميته العربية و كل ما يحمله من معان للثقافة المغاربية ، يتوافده المغتربون في غالب الأحيان ليُأنسوا وحدتهم و يُسكنوا حنينهم وسط ما يحمله الحمام من ثقافة و كونه جزءاً لا يتجزء منهم.

حمل الحمام دلالة الراحة و الاطمئنان في المجل و كان هو المكان الذي تذهبت إليه السيدة باهية للتخلص من التوتر و التفكير في حل لحالها و ابتها في بلجيكا .

ط- السجن :

كما سبق و ذكرت في تعريفي للأماكن المغلقة بأنها قد تكون حاملة للألفة و الطمأنينة ،ممثلة بالبيوت و القصور ...، كما تكون إجبارية تحمل الخوف و الوحشة كالأقبية و السجون .

إذن فالسجن يحمل دلالة الوحشة و الخوف ، و هو مكان تواجدٍ قسري، كما جاء عند حنان محمد موسى في مؤلف "الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ،أحمد عبد المعطي أنموذجاً" فنقول : السجن مكانٌ ذو حواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتخطيم هذه الحدود و الحواجز.¹

يمكن شرح القول بأن السجن يخرج من كونه سجنًا ماديًا، فقط فهي لم تحدد نوع الحدود و الحواجز ماديةً ام اجتماعيةً و معنوية .المسجون قد يكون سجين الماضي و الأفكار، و جسده حر، و قد يكون مقيداً محاصر بالقضبان الحديدية ، لكن حرالمخيلة والتفكير .

يُعيدني هذا القول، إلى تقسيم شاكر النابلسي في كتابه جماليات المكان في الرواية العربية حيث

"يعيد تشكيل المكان و إقامة بنياته ثلاثة فعلة رئيسيين الرعب و الجنس و التاريخ " ²

¹ حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، أحمد عبد المعطي نموذجاً ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الاردن ، 2006م ، ص 101.

² شاكر النابلسي ، جمالية المكان في الرواية العربية ، ط1 ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، عمان 1994،ص190 .

كون السجن يعتبر مكان رعب فكري و اجتماعي بالنسبة للمجتمع و للفرد المسجون . لكن محمد اسماعيل إختار أن يكون هذا المكان مكان راحة فيقول : " قال:(رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) صدق الله العظيم . حقا السجن أخف وطأةً من قتل الناس أو المشاركة في قتلهم.¹

آثرت الشخصية العسكرية السجن على المشاركة في قتل الناس و التستر على الجرائم ،فخرج السجن من كونه رعبا فكريا و اجتماعيا ،إلى مكان إرتاحت فيه الشخصية من الضغط .

يقول محمد اسماعيل : " في السجن تسنح لك الفرصة لترتيب راسك.² وهنا اعتُبر السجن مكان راحته و تمكنه من ترتيب أفكاره و التخلّص من عبء التستّر على الجرائم البشعة و هذا أمر متوقع من شخصية تحمل من الإنسانية و الحرية . من هنا يمكن أن نفهم مدى اتصال المكان و تعلق دلالاته بالشخصية .

ي- حانوت صالح (مشغل صالح) :

يعتبر الحانوت ،أو المشغل، أو المحل مصدراً لكسب الرزق، بعيداً عن مسماه و محتواه ، كما يحمل ذكريات يرتبط بها صاحبه، خاصةً إذا كان العمل فيه متوارثاً ، ويأخذ من الجمال المعماري و التصميم الهندسي ما هو عليه معمارُ المنطقة،بذوق صاحبه طبعاً،وهذا ما نجده في مشغل سي صالح،حيث يصفه الروائي قائلاً : " اقترب من واجهة حانوته القديم، مثلَ المكان من الداخل مازال يحتفظ بطابعه الفرنسي ، الأبواب من الخشب البني الداكن تتخللها شبابيك الزجاج الأبيض المكتوب عليها بالفرنسية فقط "الحياكة الراقية عند صالح".³ هنا تعمد محمد اسماعيل ذكر تفاصيل الحانوت الذي يحمل الطابع الفرنسي في التصميم،فهو أنشئ في فترة السبعينيات أين اشتراه السيد صالح بعد وفاة والده . تكمن جمالية المكان هنا في الطابع الذي صُمّم حسب الحانوت،و حتى الروح الجميلة من الماضي التي تعيش فيه،فيقول الروائي في هذا الصدد : "وحده يشم ماضي محله وينذكر وقتاً خلا ماكان يخلو مشغله من الزبائن".⁴ يحمل هذا

1- الرواية ، ص 141.

2- الرواية ، ص 141.

3- الرواية ، ص 26.

4- الرواية ، ص 26.

المكان بالنسبة لسيد صالح كل معاني الألفة و الراحة ففيه يتذكر أيام مجده ووصول تجارته الى أوج ازدهارها .

كما وصف محمد اسماعيل المشغل من خلال حاسة الشم (الرائحة) و من خلال حاضر المكان فيقول : "يرتاح أنفه لهذا المكان أكثر من البيت و الحانة ، مشغل الخياطة يكسب رائحته مع الزمن لتصبح عبقا مختلطا من رائحة الصوف و زيت الماكينة و دخان السجائر مع القليل من الغبار . غير أن مكونا آخر أسهم في اكساب حانوته أريجها الخاص ، فكل جمالية زارته لتطلب زياً خاصا بها تركت أثرا من عطرها ليعلق بالهواء. و حده يشم ماضي محله و يتذكر وقتا خلا ماكان يخلو مشغله من الزبائن".¹

اعتمد محمد اسماعيل استعمال حاسة الشم كونها حاسة قوية و ترتبط بشكل وثيق بالذكريات، كما تمكّن القارئ من الوصول إلى المكان مع تخيل الرائحة و مزيجها. و يضيف أيضا الكثير من الواقعية للرواية

ك- المدرسة :

و هي مكان مغلق يلتقي فيه الطلاب و يتلقون فيه العلم و المعرفة " هي بؤرة العلم و المعرفة.بها يرتقي الفهم ، يستنير الوعي ، و تدفع الأفكار الرجعية المختلفة"².

وظف محمد اسماعيل المدرسة كمكان لطلب العلم و التزوّد به، في حديثه عن شخصية الأستاذ محسن، الذي كان يدرس اللغة العربية . و أين التقى مرة أخرى مع تلميذته فاطيما التي كسرت سكون حياته ووحدها

ل- حجرة المدرسين :

هي مكان اجتماع المدرسين في فراغات الحصص و غالبا ما تحمل هذه الحجرة الكثير من القصص التي تدور بين المدرسين و التلاميذ و لم تخرج كثيرا عن هذا في روايتنا ، فختار محمد اسماعيل أن يكون

¹ - الرواية ، ص26.

² - نصيرة زوزو ، بنية الفضاء في روايات واسيني الأعرج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، تخصص النقد الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2010م، ص 125.

هذا المكان الذي تلتقي فيه فاطيما وأستاذها محسن . و هو مكان يحمل من الوقار و العلم و الإحترام الكثير فيقول محمد اسماعيل "دخل محسن حجرة المدرسين صامتا . قل كلامه مؤخرا ، لا ينطق إلا في حصصه . أما و قد هجرته سناء و اختفت فاطيما مجددا لم يعد هناك من يدير عجلة الحوار لتستمر .

طاولة كبيرة تحدها مقاعد خشبية من الجانبين كلها فارغة إلا من واحد فقط تشغله السيدة رتيبة مدرسة الموسيقى التي بادرت ما إن ظهر¹

من الملحوظ ان الأستاذ حسن يعاني من الوحدة و كانت حجرة المدرسين هي أول مكان كسر فيه هذه الوحدة مع تلميذته فيطيما ثم مع المدرسة رتيبة حيث أصبحت حجرة المدرسين من اماكن الألفة لمحسن و لم يسهب محمد اسماعيل في وصف تفاصيل المكان فالجمالية التي تكمن فيه هي تحوله لمكان إدارة عجلة الحوار .

م- الكنيسة :

المجتمع الجزائري هو مجتمع مسلم، و لكن بعد الإحتلال الفرنسي الذي حاول بشتى الطرق مسخ الهوية الجزائرية فكان من المسيحيين العدد الكبير . لم يغفل محمد اسماعيل هذا و جاء في صورة كنيسة ترتاح فيها فريال و تتضرع فيها إلى العذراء لأجلهم و لأجل المسلمين ، ما يظهر عدم تعصبها لتوجهها الديني .يقول : "تختبئ من الجميع في سيدة إفريقيا ، الكنيسة الوحيدة في البلد التي لم تحولها الدولة إلى مسجد".² الكنيسة بالنسبة لفريال ،هي مكان راحة و اطمئنان ،حيث تجد ظالتها في الهرب إليها و تأمل جمال تصميمها و الطبيعة حولها و يكمل محمد اسماعيل وصفه قائلا : "..... كيف تفعل هذا أيها المبنى البيزنطي الشاهق الرابض فوق الجبل .."³

" تتقدم حتى تصل لأول صف من المقاعد الخشبية فتجلس مقابلة تمثال العذراء الكبير " يا سيد إفريقيا ..تضرعي لأجلنا و لأجل المسلمين"، تتوسط تلك الجملة بالعربية القوس الكبير المقابل للجالسين . يحده من الاعلى إفريز من نقوش على شكل نجمة داود ، ثم يمتد للقبه الكبرى التي تحمل فوق رأسها

¹- الرواية ، ص 173.

²- الرواية ، ص 51.

³- الرواية ، ص 52.

الصليب لم تكن رسوم السقف الزاهية و لا أشعة الشمس التي لونها الزجاج المعشق هي ما بأسرها في هذا المكان ، بل صموده و عصيانه على المستجدات.

تفقد فريل من الصلابة و القوة ما يجعلها تبحث عنها في مبنى الكنيسة الذي خُفّه وراءه الاحتلال الفرنسي كما تجمع هذه الكنيسة السلم و الامان الذي يفتقده كل الجزائريين .

2- الأماكن المفتوحة :

و بعد الإنتهاء من دراسة الأماكن المغلقة في رواية " باب الزوار " سنتطرق إلى دراسة الأماكن المفتوحة. و قبل الخوض في هذا البحث ، وجب المرور بالمفهوم الإصطلاحي له ، و الأماكن المفتوحة عكس أماكن المغلقة ، " و هي الأماكن التي لا تحدها حواجز و تسمح للشخصية بالنمو و التطور كالشوارع و الحدائق العامة و ماشابيهما." أي أنها الأماكن التي تحوي التحولات الحاصلة في المجتمع ، حيث يقول "الشريف حبيلة في كتابه بنية الخطاب الروائي" : " الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني الطبيعي ، مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بعصره ، كما هو إطار انتقال الشخصيات.¹ أي أن الشخصية كلما تحركت في الرواية و جددت نفسها داخل المكان و هي المتحكم الرئيسي به ، بمعنى أن هناك علاقة وطيدة بين الشخصية و المكان .

و قد إختار " محمد اسماعيل " المكان المفتوح ميدانا لحركة شخصيات روايته ، الرئيسية و الثانوية منها، و يتمثل هذا النوع من الأماكن في مجموعة من الفضاءات و نذكر منها :

أ- المدينة :

و هي مكان تجمع سكني تضمّ مختلف الأجناس و يقول بورايو في هذا الصدد " المدينة وسط عبور من الماضي إلى الحاضر و مكان تجمع كل فئات المجتمع ، حيث تحدد لنا ميزة العلاقات الأسرية و الصداقة.² و كانت المدينة المكان المفتوح الذي حوى كل أحداث الرواية و بالتحديد في مدينة الجزائر .

¹ - الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، ص 204.

² - ينظر : عبد الحميد بورايو ، منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة) ، ص 146.

ب-مدينة الجزائر :

مدينة الجزائر حيث دارت أحداث روايتنا "باب الزوار" و بما أن عنوان الرواية يأخذ اسم أحد أحياء المدينة فأجد من المستحسن الوقوف عند عتبة هذا العنوان .

باب الزوار :جملة اسمية أصلها هذه باب الزوار. حُذِفَ المبتدأ (هذه) ، (باب) خبر مرفوع لمبتدأ محذوف ، (الزوار) مضاف إليه (غالبا مايكون إعراب العنواين اجتهاداً لأنه يحمل إمكانيات أخرى لها نفس الصحة).

تعبير لفظة الباب على الدخول و التوافد ، و المرجح أن تسمية هذه المنطقة بباب الزوار لتواجد المطار بها ، ما يجعل منها منطقة دخول السيّاح و باب توافدهم إلى الجزائر . اختار محمد اسماعيل باب الزوار و اختار شخصية الأستاذ محسن وهي الأقرب إلى شخصيته كونه زائراً هو الآخر للجزائر ، كما اختار أصعب الفترات التي ممرت على الجزائر بعد الإستقلال.

حمل هذا العنوان الكثير من المعاني ، بين البقاء و الذهاب ، بين الوفود و الهروب .

جاءت لفظة الباب باللون الابيض في غلاف الرواية ، فالباب يحمل معنى الدخول كما الخروج و اللون الأبيض يدل على القبول و السلام .

أما لفظة الزوار فجاءت باللون الاسود، فالزائر لها و الداخل ممن بابها يعي ما هو بصدد عيشه أكان من أبنائها أو حتى غريباً عنها .

بالعودة إلى مدينة الجزائر حيث تدور أحداث الرواية،وحيث تعمدّ محمد اسماعيل ذكر العديد من شوارع هذه المدينة و يقول واصفا المدينة : " برودة خفيفة تليق بصباح العاصمة البيضاء."¹

العاصمة البيضاء هي الاسم الذي يطلق على مدينة الجزائر لبياض بناياتها،وعماراتها المتقاربة و المتباعدة وهذا ما يدل إلا على النقاء والنظافة .

¹ - الرواية : ص 97.

أبدع محمد اسماعيل في وصف الجزائر فالغريب عنها بقرائته للرواية كأنه يدور أزقتها و يستشعر جمالها، و كيف تحول هذا الجمال الى شبح، كل زاوية منها تحكي قصة و بشاعة و خوفا و حتى فراراً يقول محمد اسماعيل: " تلك الرقعة التي استعصت على المستعمر الفرنسي و احتوت بيت ظهرانيها المجاهدين . تمتع اليوم عن الشرطة و الجيش، بل و على أبناءها أيضا هجرها الباعة و الحرفيون فسبحان مغير الأحوال"¹

هنا محمد اسماعيل يحكي الحالة التي آلت إليها الجزائر و شعبها وكيف زرع الخوف و الرعب في شعب تغلب على القوة الفرنسية و أحرز الإنتصار .

ج- مدينة سطيف :

بالانتقال إلى مدينة أخرى من وسط الجزائر ألى شرقها و هي المدينة التي تربي و ترعرع فيها صالح. لم يولي لها محمد اسماعيل الكثير من الأهمية في الوصف فقط اكتفى بذكرها كمكان طفولة السيد صالح و كيف انتقل بعدها منها عند استيلائه ميراثه من أمه إلى الجزائر العاصمة.

فيقول في هذا الصدد : "أرخی جفنيه ليرى طفولته في ولاية سطيف " ثم يقول بعدها : " و بعد الإستقلال و نزح صالح من بعده إلى العاصمة"²

كما يؤكد الروائي أن الحياة ابتسمت له بانتقاله إلى العاصمة الجزائر فيقول : "....ابتسمت له الدنيا في السبعينيات و الثمانينيات، و صار قبلة سيدات المجتمع الراقيات"³

بانتقال صالح من مدينة سطيف إلى العاصمة تغيرت أحواله للأفضل من ناحية عمله و حتى تكوينه لأسرة و رزقه بابنتيه فاطيما و لمياء .

¹- الرواية : ص 104.

²- الرواية ، ص 27.

³- الرواية ، ص 27.

د- مدينة بلجيكا (بروكسل) :

من مدن الجزائر تأخذنا أحداث الرواية بروكسل عاصمة بلجيكا ، حيث هربت باهية مع ابنتها من زوجها السكير و خوفاً من الأوضاع التي تعيشها الجزائر و طمعاً في العيش الكريم يقول محمد اسماعيل : "...المباني النظيفة ، الأزهار في الشرفات ، الشوارع الواسعة ، الجلوس على المقاهي ."¹ يصف الروائي بروكسل على أنها اهدى من الجزائر و تعيش حالة من الاطمئنان و الراحة .
لم يستقض محمد اسماعيل في وصفه لمدينة بروكسل كثيراً غير الذي قمت بذكره .

هـ- الشوارع و الاحياء :

كما المدن التي ضمتها الرواية فهذه المدن الأكيد أن بها شوارع و أحياء،تضم الطبقة الراقية و الطبقة المتوسطة و الشعبية أيضا . فالحي هو مكان حيوي من حيث كثرة الحركة،و تختلف هذه الحركة حسب تموقعه حيا مدنياً أو ريفيا .حيث يقول شاكر النابلسي " الحي و هو أكثر أسماء الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة و حركتها الدائمة ، إلى درجة أن الحيّ اسم يشترك فيه المكان و الإنسان و المطلق في مفردده. و يشترك فيه الإنسان و المكان في مفردده و جمعه معا."² أين يمكن اعتباره من أماكن الطفولة الأولى حيث يعيش الأطفال فيه أجمل ذكريات تعلق في ذاكرتهم إلى الأبد . و يعتبر الحي من أماكن المسارات التي ينفذ منها الإنسان كما الحال مع الشارع الذي يعتبر هو الآخر مسارا داخل المدينة ، غالبا ما يكون فيه مقهى و يعطي هذا بُعدا جماليا جديدا في الرواية الحديثة و في روايتنا هذه .

كما يرى جيرار جنيت أن الشارع " فضاء مفتوح و محصور ، في الوقت نفسه ، فهو مفتوح من منفذيه اللذين نأتي إليه و نغادر منهما ، و بينما نتوقف ، و نتجول و نلتقي الآخرين ، و الشارع يحصرنا و ينغلق علينا من جانبيه ، بالبيوت و الحيطان و الأسجبة و الحواجز ."³
هنا جنيت تحدث عن المساحة و المنافذ التي يتكون منها الشارع ، فأصبح الشارع مكانا مفتوحا و محصوراً في اللآن ذاته .

¹ - الرواية ، ص41.

² - شاكر النابلسي ، جمالية المكان في الرواية العربية ، ط1 ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، عمان 1994 ، ص 195

³ - جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر : محمد معتصم الجليل الأزدي عمر حلي ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1997 ، ص 139 .

ذكر في روايتنا محمد اسماعيل أحياء و شوارع رئيسية و مهمة من بينها :

و- القصة :

من الأحياء الشعبية لمدينة الجزائر و الذي يحمل تاريخا بأسره يقول محمد اسماعيل : "..... كما استحال ارتياد القصة التي عمّرها اليوم الخوارج. لَكَمْ وقعت في غرامها ،أبوابها الخشبية التي تخبئ وراءها ساحات فسيحة أحيانا و أحواشا صغيرة ،أسقف المزرکشة و حوائط الفسيفساء ، دار عزيزة ، القاعة التي لطم فيها الداى مندوب فرنسا فاحتلوا الجزائر . مسجد كتشاوة الذي بناه العثمانيون و تحول لكنيسة وقت الاحتلال . ثم عاد مسجداً فور الإستقلال، الصناعات التقليدية المنتشرة في الطرقات ، لا يُلحّ الباعة في استقطاب الزبائن ، فكرامة الجزائري قبل الخبز و قبل الحياة".¹ هنا يصف محمد اسماعيل القصة على أنها المكان العتيق الذي انتُهك هو الآخر و سُلِب من سكانه الأمان والطمأنينة. كما لم يفوّت فرصة إبدائه إعجابه بالفرد الجزائري و ما يحمل من كرامة.

ز- باب الواد :

ذُكر في الرواية الكثير من الشوارع و الأحياء التي من بينها بلوزداد ، حسيبة بن بوعلي ، حيدرة و هي الأحياء الراقية في المدينة و بالتأكيد "باب الواد" الذي يعد من الأحياء الشعبية . حاله حال باب الزوار " باب الواد و عماراتها العتيقة على الطراز الأوروبي مستقبلة البحر ، و كأنما تتجه نحو قبلتها الفرنسية على الضفة الأخرى من العملاق الأزرق".²

ح- الجامعة :

للجامعة دور محوري و أساسي في المجتمع ، يزود من خلالها الطالب بمختلف المعارف و المهارات و يقول عمار بوحوش "أن دور الجامعة يتمثل في تهيئة الجوؤ لرجال العلم و المعرفة لكي يضعوا التصورات أمام كبار المسؤولين و قادة المجتمع".³

¹ - الرواية : ص 103-104.

² - الرواية : ص 97.

³ - دور الجامعة الجزائرية في التنمية الاقتصادية :الفرد و القيود ، عربي بومدين ، مجلة الجزائر للعلوم و السياسات الاقتصادية ، العدد 7 ، 2016، ص 251.

فالجامعة هي المكان الذي تتشكل به التصورات و التوجُّهات في ظل المعرفة و في ظل المسار الصحيح و طرح هذه الأفكار و الاتجاهات أمام قادة المجتمع .

يقول الروائي : "دخلت الجامعة تترقب ، هل أصبحت محط الأنظار بهذا المنظر المختلف ..."¹

حملت الجامعة جماليةً خاصةً وقد جعلت فطيما منها مركزاً لانتعاش تجارة والدها ومشغله . حيث كان يرتاد جامعتها أبناء الأثرياء "... بعكس جامعة باب الزوار التي يرتادها أبناء نادي الصنوبر و بن عكنون و حيدرة ، أحياء راقية و سيارات فارهة يبدأ على أثرها اتضاح التباين بين الطبقات ."² كما كانت الجامعة تضم الطبقة الاجتماعية الراقية فقد ضمت أيضا الطبقة الفكرية المثقفة و التوجهات الحزبية فهي بؤرة النشاط الفكري و الصدام الإيديولوجي .

"...جمع الغيورون على الدين ما تيسر من تلك الباطاقات و أحرقوها في وسط الجامعة . التفت

المناهضون لتيارهم إلى تلك اللقطة فبدعوا في تقطيع و تشويه مملصقات الحجاب للرد عليهم...."³

فالصدام الديني و الصدام الفكري هو ما ولد هذا الصراع بين الطلاب .

ط- المطار :

هو مكان تتعدَّد أوجُهه باختلاف رواده .هناك ممن يصنّفه أنه مكان مغلق إلا أنني ارتأيت أن يكون مكاناً مفتوحاً لأنه يحكم رقعة جغرافية واسعة، يرتاده الكثير و الكثير من الناس، السائح و المغترب .كما كان الحال مع محسن الذي ترك موطنه و عائلته و جاء للجزائر، موطنه المشتعل يقول محمد اسماعيل :

"و قف محسن في طابور جوازات مطار هواري بومدين بلا رغبة في التقدم لدخول الجزائر و لا نية في العودة إلى مصر ."⁴

1- الرواية ، ص 176.

2- الرواية : ص 7.

3- الرواية : ص178.

4- الرواية : ص 12.

حمل المطار معنى الضياع و التشتت لمحسن فلا التقدّم يريحه و لا التراجع أيضا . يقف في المطار حيث حبه للجزائر و عمله بها و.وطنه الآمن أين عائلته و راحته .

ي - المطعم :

شغلت المطاعم حيزا كبيرا في روايتنا من خلال عمل السيدة باهية و التقاء محسن و فاطيما و استئناس محسن لضجته على و حدة المنزل .

يصف محمد اسماعيل مطعم أخت باهية المتواجد في بروكسل " المطعم صغير جدا ،أربع مناظير فقط في الطابق الأرضي ،تتدلى من السقف ثريات نحاسية صفراء الإضاءة تعجز عن إنارة الحوائط المكسوة بخشب بني ... تنتهي القاعة بباب المطبخ على اليمين و سلم خشبي ضيق على اليسار ...على طاولة ضيقة مرتفعة مغطاة بمفرش من البروديه الأبيض ،تعلوه آلتة الحاسبة."¹

ثانيا : المكان و علاقته بالعناصر اللروائية :

ارتبط المكان بباقي العناصر الروائية أمر لايد منه لأن العناصر الروائية تتكامل مع بعضها البعض لتشكل فيما بينها صرحا روائيا، يضيف للساحة الأدبية، كما و نوعا ، مع توافره على السمات الفنيّة و الجمالية .

1-علاقة المكان بالشخصية :

للشخصية أهمية بالغة في بناء الحدث و المكان في العمل الروائي ، حيث يري عمرو حسن "أن معنى الشخصية يشمل جميع الصفات الجسمانية و الوجدانية و العقلية و الخلقية ، في حالة تفاعلها بعضها مع بعض و تكاملها في شخص معين يعيش في بيئة اجتماعية معينة."²

¹ الرواية : ص 59.

² - عمرو حسن احمد بدران ، تحليل الشخصية ، مكتبة الايمان ، المنصورة مصر ، دط،دت، ص10.

أي أن الشخصية الورقية في الرواية تملك جميع صفات الشخصية الواقعية . و حسب التصور التقليدي للشخصية غالبا ما " يُخلط بين الشخصية الحكائية **personnage** و الشخصية الواقعية " ¹ على حد تعبير حميد الحميداني. بسبب التمازج بينهما في الصفات .

و ترتبط الشخصية ارتباطاً وثيقاً بالمكان في العمل الروائي ، حيث تُسهم في تنامي الأحداث و يشير عدي عدنان إلى هذا في كتابه " بنية الحكاية في البلاء للجاحظ" أن الشخصية الروائية " قد تنسجم مع المكان فتحبه و تعيش معه في ألفة و قد لا تنسجم معه فتكرهه ، و تشعر بالتناقض معه ، و إن هذا التناقض يخلق نوعا من الصراع بين دواخل الشخصية ،وما تشعر به . و المكان الذي تعيش فيه، و يخلق هذا الصراع ، أبعاد الشخصية و علاقتها مع أنماط المكان المختلفة." ² و لأن الراوي يحمل الشخصية مهمة تقديمها للمكان من خلال وظائفها " لأن المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي و يرسم طوبوغرافيته و تجعله يحقق دلالاته الخاصة و تماسكه الإيديولوجي." ³

و الشخصية في رواية " باب الزوار " لمحمد اسماعيل حاضرة بقوة و يظهر هذا من خلال الأمكنة التي قدمها الروائي في شكل يتماشى مع الأحداث . و من أمثلة تأثير الشخصية على المكان أو العكس ، تأثير محسن على البيت ، حيث شكل البيت مكان وحدة و مكان تعبيره عن حنينه إلى وطنه مصر . و ما يعيشه من آلام الشوق فيقول الروائي : "أدخل محسن حقيبته لغرفة نومه و لم يفتحها . حقيبة صغيرة هذه المرة ، حتى الحقايب تذكره أنه عاد وحيدا." ⁴

و يري الحميداني " أن المكان يتخلى عن الديكور ليحتضن مشاعر الشخصيات ، لأن تشكيل الفضاء المكاني " ⁵الذي ستجري فيه الأحداث سيعمل الروائي على أن يكون بناؤه له منسجما مع مزاج و طبائع شخصياته ،وأن لا يتضمن أية مفارقة ، و ذلك لأن من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين

1 - حميد الحميداني ، بنية النص السردي ، ص 50-51.

2- عدي عدنان محمد ، بنية الحكاية في البلاء للجاحظ"دراسة في ضوء منهجي بروب و غريماس"،عالم الكتب الحديث،اردن،الاردن،ط 1، ، 2001 ، ص 166.

3 - حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 32.

4 - الرواية ، ص 37.

5 - حسن بحرأوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 30.

الشخصيات و المكان الذي تعيش فيه او البيئة التي تحيط به بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية ،بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها .¹

و امتلاك البيت صفات محسن من خلال تأثيره عليه ، ليتخلى عن دلالاته الأصلية ،الدفاء و الأمان ،و أصبح و حشا ينخر محسن من الوحدة فعبر عن وحدته قائلاً : " أه لو بقيتي معي يا سناء. لم يحدث ما يدعو لرفضك العودة و تركي هنا وحدي " .²

و لم يستطع البيت أن يحمل جميع مشاعر محسن فرمى بها إلى الخارج ،أين المطاعم والمقاهي . فهو يأنس بالضجيج أين لاصوت للصمت . ليشعر بالراحة تفسية . إلا أنها كثيرا ما كانت تذكره بوطنه فيقول محمد اسماعيل : " يذكره بشرفة فندق شبيرد في وسط المدينة التي تطل على النيل . كان يصطحب سناء إلى هذا الفندق أثناء فترة الخطوبة ."³

حيث لابد للشخصية الرئيسية "أن تكون متميزة بوجودها و مشاعرها و بنظرتها إلى الآخرين،والى العالم المحيط بها"⁴

و بالإضافة إلى الشخصيات المساعدة ، ليكتمل بناء الرواية ، فيعبر لنا الروائي عن هواجسها و آلامها من خلال عدم الاستقرار بنفسيتها مشاعرها،فتظهر دلالة المكان من خلالها . و هذا ما حدث في المدرسة ، التي كانت تدل على العلم و المعرفة و الهدوء و بدخول شخصية فاطيما تغيرت دلالتها لتعكس مشاعرها من ضياع و حزن على فراق صديقتها فريال " أَلقت بحملها على مقعد في آخر الفصل استرخت . مبنى بهذا الحجم فارغ بأكمله جدير أن يلقي في قلبها الرعب، لكن أي رعب يقدر على من فقدت أمها ثم قُتلت صاحبته ."⁵

¹ - حسن بحراوي ، المرجع نفسه ، ص31.

² -الرواية ،ص 92.

³ - الرواية ، ص 92.

⁴ - لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي ، إنجليزية ، فرنسي) ، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1،

2001 ، ص 115.

⁵ - الرواية ،ص 66.

كما أن "شبكة العلاقات التي تخص الشخصية الروائية تمتد كذلك إلى الأمكنة وإلى الإنسان".¹ و قد اعتمد محمد اسماعيل للكشف عن ملامح الشخصيات اظهارها بطرق مميزة ، و هذا ما توصلت إليه في رواية باب الزوار :

أ- علاقة انتماء :

هنا نقصد وجود الألفة التي تجمع الشخصية بالمكان ولم تتجسد كثيرا هذه العلاقة في الرواية لأن الشخصيات الروائية كانت تعيش نوعا من الاضطراب ولم تحمل أية شخصية هذه العلاقة للمكان تقريبا، و لكن لا يمكن أن ننفي بصفة كاملة علاقة انتماء الشخصية بالمكان. وتمثل هذا في العلاقة الوطيدة بين صالح و مشغله ، فيقول الروائي : " يرتاح أنفه لهذا المكان أكثر من البيت و الحانة"²

فرغم الصعاب التي مرت بها الشخصية إلا انها تجد نوعا من الراحة في مكان عملها .

ب- علاقة تنافر :

و تعني عدم توافق الشخصيات مع المكان الذي تتواجد فيه و رفضها له . فالمتتبع للرواية يجد أن هذه العلاقة قد تجسدت بامتياز في الرواية، لما تعانیه الشخصيات ممن شعور بلاغتراب و الوحدة و الضياع، يقول الروائي : " كل شيء هادئ في باب الزوار . قتلت فريال بالأمس و لكن لا احد يكثرث ."³

حيث يشير محمد اسماعيل إلى الوضع الذي آلت إليه الجزائر جراء الأعمال الإرهابية التي نغصه عيشة الجزائريين .

و الحال أيضا في بيت فاطيما بعد فراروالدتها تجاوز البيت دلالة الراحة و الطمأنينة إلى دلالة أخرى مغايرة، وهي حضور البيت كفضاء جغرافي غير مستقر و غير مريح.

¹-نبيل حميد الشاهد ، بنية السرد في القصة القصيرة سليمان فياض نموذجا ، المجلس الأعلى للثقافة ، الاسكندرية ، مصر ، (د،ط) ، 2016م ، ص13.

²-الرواية ، ص 26.

³-الرواية ، ص 63.

ج- علاقة حياد :

يقصد بالحياد ، هو الوقوف في المنتصف بين السلب و الإيجاب ، بالنسبة إلى المكان الذي تتواجد فيه الشخصية و في الغالب ما يكون هذا المكان مكانا ثانويا مثل المطاعم و المقاهي التي يرتادها محسن و أين يلتقي فاطيما في كل مرة .

نستنتج ختاما ان العلاقة بين المكان و الشخصية هي علاقة تكاملية لا يمكن فصل أحد هذين المكونين السرديين عن بعضها البعض، و حضورهما معا يُكسب الرواية من الجمال ما يجعلها تضيف للإنتاج الأدبي.

2- علاقة المكان بالزمان :

الزمان مثله مثل المكان يُعد من أهم عناصر البنية السردية و يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان فيأكد عبد القادر بن سالم هذا قائلاً أن العلاقة بينها " علاقة متداخلة ، و يستحيل أن نتناول المكان في معزل عن الزمن ، كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصبُّ على عمل سردي دون أن ل ا إنشاء عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره." ¹ فلهذه العلاقة الأهمية البالغة في بنية العمل السردية ، فالشخصية و الحدث لا يتحركان إلا ضمن إطار الزمان و المكان. " و هما عنصران متلازمان بالضرورة ، فلتحديد معالم قضية ما ، لا بد من اللجوء إلى عاملين مشتركين هما الزمان و المكان. ² فالعلاقة بين كل من الزمان و المكان وثيقة و تطور كل واحد منهما مرتبط بالآخر، فحضور المكان في الرواية يتطلب حضور الزمان أيضا و في هذا السياق يشير الحميداني بقوله : " و هناك مسألة أساسية ، ينبغي إضافتها ، وهي أن الحديث عن المكان محدد في الرواية يفترض دائما توقفا زمنيا لسيرورة الحدث ، لهذا يلتقي وصف المكان مع الإنقطاع الزمني ، في حين أن الفضاء ، يفترض دائما تصور الحركة داخله." ³

¹ عبد القادر بن سالم ، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث ، ص 94.

² ينظر : ابراهيم جنداري ، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا ، تموز ، دمشق ، سوريا ، ط10 ، 2013م، ص 21-22.

³ حميد الحميداني ، بنية النص السردية ، ص 63.

فان للزمن دورا مهما في الإنطلاق بأحداث الرواية من الماضي إلى الحاضر ومن ثمة إلى المستقبل ، فالزمن هو الكفيل بتقديم و تأخير الأحداث ، فكل نص روائي يتوزع بين زمن القصة و زمن السرد و يعتبر زمن القصة هو : " الزمن ذو النظام المحدد لأنه يسير وفق خط مستقيم يتكون من: بداية ، وسط ، و نهاية ، بيد أن زمن الحكى يقوم على أساس تشويه تلك الإستقامة بإستخدام طريقة فنية معتمدة مما يؤدي إلى توتر العلاقة مع الزمن الأول " .¹

و للوقوف على طبيعة العلاقة التي تربط الزمان بالمكان، لابد من دراسة حركتي الزمن السردى المتمثلة في " (الإستباق و الإسرجاع) " .²

و كان محمد اسماعيل واعيا لأهمية الزمان و دوره في العمل الروائي ، و في بناء الأحداث و تحرك الشخصيات و تطورها . إذ كان للزمن تقنيات متعددة يستخدمها الروائيون ، فان محمد اسماعيل اعتمد السير الطبيعي للأحداث ، و هذا لاينفي استعماله لتقنيات الزمن من تبطئة و تيرة السرد و تسريعه، استخدم تقنية الإسرجاع و لكنها لم تكن بالإستخدام المبالغ فيه ، بل عند الحاجة الملحة للشخصيات فقط.

أ- الإسرجاع :

الإسرجاع عند جيرار جنيت " هو كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نقف فيها من القصة " ³

بمعنى استخدام الذاكرة لاستنكار أحداث سبق وقوعها في الزمن الحالي للرواية و قد قسم جنيت الإسرجاع إلى :

"إسرجاع خارجي **analepse externe** : الذي يعود إلى ما وراء الإفتتاحية ، و يسير على خط زمني مستقل خاص .

¹ - نقلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد و آليات تشكيله الفني ،قراءة نقدية ، دار غيداء،الأردن ، ط1 ، 2011م، ص.44

² - ينظر :جيرالد برانس ، قاموس السرديات ، تر : السيد إمام ، شارع قصر النيل ، القاهرة ، ط3، 2003م ، ص18.

³ - جيرار جنيت : خطاب الحكاية ، بحث في المنهج ، تر : محمد معتصم و آخرون ، ط2 ، 1997م، ص51.

استرجاع داخلي **analepse intern**: هو الذي يلتزم خط السرد الأولى أي الأحداث الماضية لكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردى.¹

"استرجاع مزجي **analepse mixte**: الذي يمزج بين الاسترجاع الداخلي و الخارجي.²

حيث تشكل هذا الزمن الإسترجاعي بوضوح في رواية " باب الزوار " مع صالح و هو يعود بذاكرته إلى زمن مضى كان فيه عمله منتعشا . فيقول الروائي : " أرخى جفنيه ليرى طفولته في ولاية سطيف.³ هنا المشغل هو المكان الذي انتقلت فيه الشخصية عبر الزمن .

لقد سار المكان و الزمان مع في خط واحد في غالب أحداث الرواية ، فقد برزت رواية " باب الزوار " في زمن التسعينيات في الجزائر ، فخصص محمد اسماعيل روايته هذه في هذا التاريخ المحدد " لظاهرة الإرهاب " حيث تدور أحداث الرواية عن الواقع المرير الذي يعيشه الفرد الجزائري في تلك الفترة . فسور الروائي من خلال عودة صالح بالذاكرة إلى زمن الثمانينات و السبعينيات حيث الأمان و الراحة و كيف تجسد تطور المكان مع مرور الوقت حيث أعطاه صفات و دلالات أخرى تختلف عن دلالاته في الماضي .

ب- الاستباق :

و هو استشراف الحدث قبل وقوعه ،انتظاراً لما سيقع مستقبلاً و يتمثل في " الإعلان عن المقاطع السردية التي تضم أحداثاً أو التي لم يتم التوصل إليها بعد و يتميز عن الاسترجاع في أنه يقوم باستشراف الزمن و التطلع لما هوآت ، و قد يكون قابلاً للتحقيق و قد يكون لا.⁴

¹- ينظر : عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح : البنية الزمنية و المكانية في موسم الهجرة إلى الشمال ، دار هومة ، الجزائر ، دط، 2010م، ص 18.

² - ينظر : آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر ، بيروت ، ط2، 2015م، ص 104.

³- الرواية ، ص 27.

⁴- شريف حبيبة : بنية الخطاب الروائي ، ص 142-143.

و قد جاء الاستشراق في الرواية حيث بينت العلاقة بين الزمان و المكان مختصرةً عن طريق الحوار بين الشخصيات ، مازاد من نمو الاحداث .

ومن خلال ما سبق نخلص الى أن العلاقة بين الزمان و المكان تتلخص فيما يلي :

أن المكان لصيق بالزمان والعكس صحيح الذي دائما مايكون مستحوذا على الرواية .

أن المكان له أزمنة متفاوتة حسب الشخصيات و حسب أحداث الرواية

و أن الشخصية هي المتحكم في سيرورة الأحداث و الزمن

الزمن في الرواية ليس معلوما محدد السنة أو الشهر أو اليوم إنما محدد الفترة

3-علاقة المكان بالوصف :

الوصف هو من أهم التقنيات التي لايمكن التخلي عنها في العمل الروائي ، حيث يكون مكملا للمكان و الشخصية و متحكما في زمن السرد ، لأنه الأداة الفاعلة في التوضيح و الإبانة للقارئ . "فلا يمكن تصور وجود مقطع سردي خال تماما من الوصف لأن الأفعال في حد ذاتها يمكن أن تكون حاملة لصورة وصفية."¹ و للوصف وظائف أهمها :

"الوظيفة الجمالية : و الوصف يقوم في هذه الحالة بعمل ترتيبى و هو يشكل استراحة وسط الأحداث السردية .

الوظيفة التفسيرية : أي أن تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنأ معين في إطار سيرورة الحكى."²

الوظيفة الإيهامية : إذ يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخيلي و يشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال ."³

1- عمر عاشور ، البنية السردية عند الطيب صالح ، ص 150.

2- حميد الحميداني ، بنية النص السردى ، ص 92.

3- سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص 115.

الوظيفة الإيقاعية : تستخدم لخلق الإيقاع في القصة . فقطع تسلسل الحدث لوصف المحيط الجغرافي الذي يكتنفه ، يوآد تراخيا بعد توتر . و قطع تسلسل الحدث في موضع حساس يوآد القلق و التشويق ، و بالتالي التوتر .¹

الوظيفة السردية : فتزويد ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن و الشخصيات و تقديم الإشارات التي ترسم الجو، أو تساعد في تكوين الحكمة .

ترتبط ظاهرة الوصف الروائي بتنوع الرواية و " اتجهاها الفني و تُعد الروايات الحديثة روايات مكانية، يمثل الوصف فيها أحد مقومات وجودها ، و تأثيرها و يولي الروائي عناية من أجل تجسيم المكان ، و إعطاء وصف بالغ الدقة للموضوعات المحيطة بالشخصية ."²

فقد كانت رواية باب الزوار حريصة على جميع الموصوفات الحسية (المكانية) و حتى الزمانية .

تقر سيزا قاسم بوجود نوع من التداخل بين كل من الوصف و السرد بحيث تسمى الصورة التي تعرض الأشياء في سكونها الصورة الوصفية بينما تُسمى الصورة التي تعرض الأشياء في حركتها بالصورة السردية ."³

و إذا ماعدنا إلى الحديث عن علاقة الوصف الروائي بالمكان يمكن القول : " أن الوصف يرتبط بجميع المكونات الروائية و لكنه يرتبط بدرجة أكثر بالمكان الذي يكون ارتباطاً مباشراً و عضوياً ، فالروائي غالباً ما يصوغ من المقاطع الوصفية دعائم المكانية .

و قد احتفت رواية باب الزوار بوصف الأمكنة حيث خصص لها مساحة نصية متميزة و بخاصة وصف المدن و الديكورات .

¹ - لطيف زيتون ، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي ، إنجليزي ، فرنسي)، مكتبة لبنان ، دار النهار للنشر بيروت ، لبنان ، ط1، 2002م ، ص 172 .

² - طاهر عبد مسلم : عبقرية الصورة و المكان ، ص 117 .

³ - ينظر : سيزا قاسم : بناء الرواية ، ص 82-83 .

وصف المدن :

فيقول محمد اسماعيل واصفا مدينة بروكسل البلجيكية : " المباني النظيفة ، الأزهار في الشرفات، الشوارع الواسعة"¹

وصف الشرفة :

كثيرا ما اهتم الروائي بالشرفة في هذه الرواية و عقد مقارنة بين مساحتها في الجزائر و بلجيكا فيقول : " شرفة منزلها في مولانبيك صغيرة جدا ، بالكاد تحتويها جالسة تلصق ركبتيها بالسور الحديدي و ظهرها مسند إلى الحائط ."²

وصف الحمام :

ومن المقاطع الوصفية التي تحملها الرواية ، وصف محمد اسماعيل للحمام المتواجد في بلجيكا حيث كانت ترتاده باهية لتشعر بالراحة و تستمد من تفاصيله التي تجذر في الحضارة المغاربية رائحة الوطن . يقول الروائي واصفا إياه : "قاعة مؤتمرات العرب بمولانبيك ، الحمام المغربي ملاصق لجدار المسجد الجانبي ، تظنه نفس الحائط و إن لم يكن . باب صغير مستطيل يعلوه عقد اندلسي على شكل نصف دائرة مكتوب فوقه بالعربية : "حمام لقمان " .تدخل من الباب إلى الساحة الداخلية ; بلاط قديم متآكل في الأرضية تتوسطه نافورة رخامية معطلة لاتتناسب مع ضيق الساحة و لا مع حقارة دهان الحوائط ، تدور حولها لتصل للمحاسبة الجالسة على مكتب خشبي قديم .

أدرجه مملوءة بجرعات الصابون البلدي و عبوات صغيرة من الغسول و الأكياس المغربية السوداء شديدة الخشونة ، تفضل عليها الجزائرية الملونة الناعمة .

أعطتها بضع فرنكات و أخذت منها مفتاحا ذا رقم معقود في رباط مطاطي ارتدته كالسوار ، و سعدت السلم الضيق المؤدي للدور الأول تحمل كيسا بلاستيكيًا به لوازمها.³

¹- الرواية ، ص 41.

²- الرواية ، ص 205.

³ - الرواية ، ص 145.

و يكمل وصفه قائلا : " دفعت الباب الخشبي لتدخل ساحة الحمام ، الأحواض الرخامية متراسة في وسط الحائط تكاد تتلاصق ، أمام كل حوض مقعد حجري صغير مثبت في الأرض و فوقه صنوبران نحاسيان أحدهما بارد و الآخر ساخن..."¹

كان هذا عرضا موجزا للأماكن المفتوحة الواردة في رواية "باب الزوار"

¹ - الرواية ، ص 146.

خاتمة

ان خاتمة هذا البحث هي المحطة الاخيرة التي اردنا ان تكون شاملة مختصرة،وماكان بحثي هذا سوى نقطة في بحر دراسات المتخصصين في دراسة المكان ، لما له من أهمية كبيرة في العناصر السردية الروائية ، و من بين أهم النتائج التي أمكنني الخلوص إليها في هذا البحث أذكر :

• اختلفت اراء النقاد من الغرب و العرب و تعددت حول مصطلح المكان ،ويعود هذا الى عدم استقرار المفهوم بسبب الترجمة

• رواية "باب الزوار " هي رواية واقعية استخدم فيها الروائي الاماكن الواقعية و لم يورد اي مكان خيالي و تمثلت هذه الاماكن في : شوارع مدينة الجزائر و غيرها من الاماكن

• تنوعت أساليب و طرق محمد اسماعيل في تقديمه للأمكنة ، حيث مثل الوصف الأداة الأكثر أهمية في التصور و تجسيد التفاصيل كالرائحة و الديكورات .

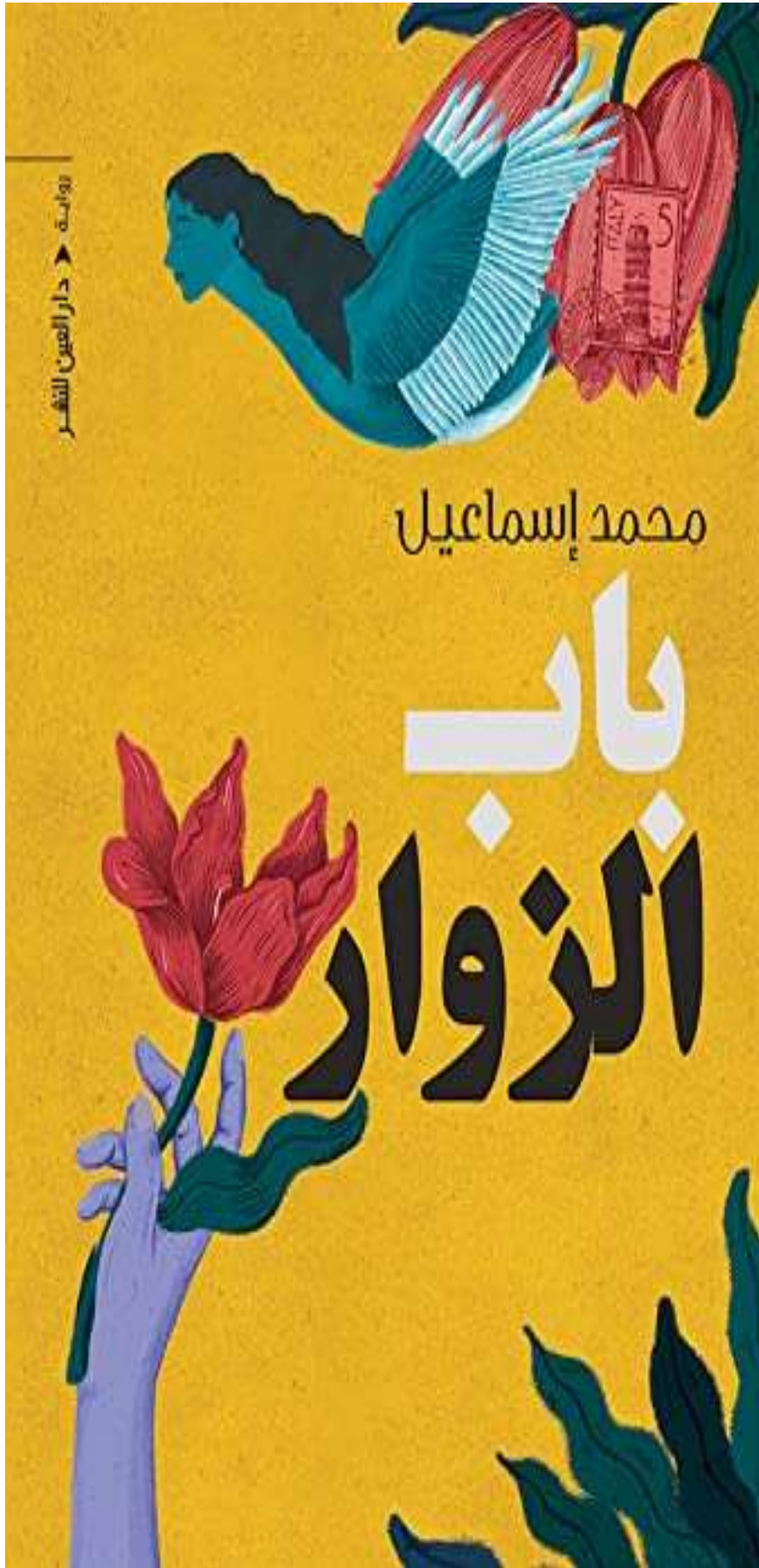
• اهتمت الرواية بعنصر الزمن ، الذي بدا متلازما مع المكان حاله حال الشخصية،و تنوع الأمكنة في الرواية يعود في الاساس إلى عنصر الزمن.

• المكان ليس مجرد ديكور يؤثث لجمالية الرواية انما عنصر هام من عناصرها اذ يعتبر العمود الفقري الذي يربط بين اجزائها

• ساهمت الشخصيات في تكوين المكان و بناءه في الرواية عن طريق حركتها

و في الأخير لا يدعي هذا البحث مني الإلمام التام بموضوع جماليات المكان في رواية باب الزوار ،فهو موضوع متشعب لا حدود له و يبقى هذا البحث مفتحا في الجماليات المكانية في ظل الدراسات النقدية الجديدة .

مَلَق



ملخص الرواية :

رواية "باب الزوار" خطها محمد اسماعيل، على لسان الكثير من الشخصيات محسن مدرس اللغة العربية المصري، فاطيما، باهية، صالح.....تبدأ الرواية بعرض الزمن الحاضر في تسعينيات الجزائر اين تجد فاطيما نفسها وحيدة بعد هرب والدتها باهية الى بلجيكا رفقت ابنتها الصغيرة ، و المدرس محسن الذي يعيش صراعا بين دخوله الجزائر او العودة الى دياره في ظل الصراع و الاحداث التي يعيشها البلد و مثل محمد اسماعيل هذا بشخصيتي باهية ومحسن وجسد التضاد و التصادم الحاصل ففي هرب باهية و تشبث محسن

و قد تازمت الاحداث فيما بعد بموت فريال و بداية فاطيما في حل لغز موتها الامر الذي جعلها تلتقي استاذها مرة اخرى لتسري احداث الرواية في العاصمة الجزائر

قسمت الرواية الى مقاطع يحمل كل مقطع رقما، و عددها 29 مقطعا و ينتقل بينها "محمد اسماعيل"باريحية لعدم الاتصال المباشر بين الشخصيات و لكن كثيرا ما جمع المقطع الواحد بين شخصيات كثيرة

عالجت أحداث الرواية فترة هامة في تاريخ الجزائر و هي فترة التسعينيات أين كانت الجزائر وطنا مشتتلا لما تعيشه من أوضاع سياسية بعد الانقلاب ضد الإنتخابات و ظهر الإهاب. و لسواد هذه الفترة سمية ب " العشرية السوداء " .

فترة حزينة على بلد المليون ونصف المليون شهيد ووطن تضافر بداخله حكايات لتخرج ملحمة الأحياء و الأموات من باب الزوار . وقعت أحداث الرواية في باب الزوار و التي اختارها محمد اسماعيل اسماً لروايته أين عانت كل شخصية من شخوص الرواية و تصارعت مع ذاتها بين البقاء و الفرار .

نبذة حول الروائي " محمد اسماعيل " و رواية " باب الزوار "

هو أديب مصري ، صعدت روايته "باب الزوار " بنجمه و كانت ثاني أعماله بعد رواية " ما حدث في شجن " الأدبية التي لقت رواجاً و استحسان النقاد .

المولد و النشأة :

ولد محمد اسماعيل في القاهرة ، سنة 1974

الوظائف و المسؤوليات :


شغل محمد اسماعيل العدد من الوظائف الإقليمية في شركات الإتصالات العالمية ، و يعمل كمهندس اتصالات إلى جانب حبه للأدب ، و الروايات خاصة

الدراسة و التكوين :

تحصل على ماجستير في إدارة الأعمال من MBAIP جامعة السوربون بباريس ، و بكالوريوس الهندسة الالكترونية من جامعة عين شمس .

التجربة الادبية :

يبدو أن التجربة الأدبية لمحمد اسماعيل حديثة العهد فباب الزوار هي ثاني أعماله و التي صدرت عام 2022 بعد روايته الأولى " ما حدث في شجن " .



قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

1- المصادر :

1. محمد اسماعيل، باب الزوار، دار العين، قصر النيل، القاهرة، ط. 1

2- المراجع :

1. ابراهيم جنداري ، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا ،تموز ، دمشق ،سوريا ، ط10 ، 2013م

2. الاخضر بن السايح ، سطوة المكان و شعرية القص في رواية ذاكرت الجسد "دراسة في تقنيات السرد " ، عالم الكتب الحديث ، أريد ، الاردن ، ط1، 2011م

3. اسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، تاج الصحاح و صحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1956م ، ج 3 ،

4. آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية و التطبيق ، المؤسسة العربية للدراسة و النشر ، بيروت ، ط2، 2015م.

5. حسن العبيدي : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،دار الشؤون الثقافية العامة،مصر،(د،ط) 1997م

6. حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 2009م

7. حمادة تركي زعيتير ، جماليات المكان في الشعر العباسي ، دار الرضوان للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ، ط1، (1434هـ-2013م)

8. حميد الحميداني : بنية النص السردى من منظور النقد الادبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1991م

9. حنان محمد موسى حمودة: الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، أحمد عبد المعطي نموذجاً ، عالم الكتب الحديق للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006م
10. سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض و تقديم و ترجمة) ، ط1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1985م
11. سعيد يقطين ، قال الراوي ،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1997
12. سيزا قاسم : بناء الرواية " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراء للجميع 2004، مكتبة الأسرة القاهرة، يونيو 1978
13. شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، ط1 ، دار الفارس للنشر و التوزيع ، عمان ، 1994
14. شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية و القصة و السينما، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2010م
15. الشريف حبيبة ، بنية الخطاب الروائي (دراسة في رواية نجيب الكيلاني) ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ،أريد،الأردن، 2010م
16. طاهر عبد مسلم : عبقرية الصورة و المكان
17. عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسة في الفصة الجزائرية الحديثة) ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر
18. عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث
19. عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، (د، ط) عالم المعرفة، الكويت، 1998م

20. عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي "معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق «، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط4، 1995م
21. عدي عدنان محمد ، بنية الحكاية في البلاء للجاحظ"دراسة في ضوء منهجي بروب و غريماس"،عالم الكتب الحديث،اريد،الاردن،ط1، ، 2001
22. عصام محمد الشنطي، الجمالية الواقعية في نقدنا الأدبي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، 1979م
23. عمر عاشور : البنية السردية عند الطيب صالح : البنية الزمنية و المكانية في موسم الهجرة إلى الشمال ، دار هومة ، الجزائر ، دط، 2010م
24. عمرو حسن أحمد بدران، تحليل الشخصية، مكتبة الإيمان، المنصورة مصر، (د، ط)، (د، ت)
25. غاستون باشلار : جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، الموسوعة الجامعية للدراسات للنشر و التوزيع، بيروت، ط3، 1987م.
26. فايزة أنور شكري، فلسفة الجمال و الفن
27. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات النقد الروائي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2002
28. محمد اليعقوبي، الوجيز في الفلسفة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط3، (دت)
29. محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات و مفاهيم)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م،
30. محمد علي البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد، المجلة الجامعة، جامعة الزاوية، كلية الآداب، الزاوية، ع 15، 2003م
31. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة، (د، ط)، 2004م
32. مراد عبد الرحمان مبروك، جيوبوليتكا النص الادبي، تضاريس الفضاء نموذجا دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، ط1، 2009م

33. مهدي العبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد)، ط1 منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، 2011
34. نبيل حميد الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة سليمان فياض نموذجاً، المجلس الأعلى للثقافة، الاسكندرية، مصر، دط، 2016م
35. نقلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد و اليات تشكيله الفني، قراءة نقدية، دار غيداء، الأردن، ط1، 2011م،
36. وفاء محمد ابراهيم، علم الجمال، قضايا تاريخية معاصرة، دار الغريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د، د)، (ط، د)، (د، ت)
37. ياسين النصير، الرواية و المكان، (د، ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1986

3-المراجع المترجمة :

1. جيرار برنس ، المصطلح السردى (معجم المصطلحات) تر :عابد خزندار المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، مصر ، ط1، 2003م
2. جيرار جنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر : محمد معتصم الجليل الأزدي عمر حلى ، ط2، المجلس الأعلى للثقافة ، 1997
3. غاستون باشلار : جماليات المكان ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط2، 1984م،
4. يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا قاسم ، كتاب جماليات المكان لمجموعة من المؤلفين ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط1، 1988م

4-المعاجم :

1. ابراهيم مصطفى و آخرون ، المعجم الوسيط ، مادة(م،ك،ن) ، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع ، اسطنبول ، تركيا ، (د،ط)، (د،ت) ، ج1

2. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ج، م ، ل) مح06 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م
3. بطرس البستاني : محيط المحيط "قاموس مطول اللغة العربية " ، المادة (ح، و، ز) ، مكتبة لبنان ناشرون ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط1 ، 1987م
4. بطرس البستاني : محيط المحيط ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،لبنان ، 1987م
5. الخليل ابن أحمد الفراهيدي ، العين ، مرتبا على حروف المعجم ، دار الكنب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2003م، ج3
6. المجمع الوسيط مجمع اللغة العربية العامة للمعجمات و إحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط4 ، 2004م

5- المجلات و الدوريات :

1. محمد علي البنداق ، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد ، المجلة الجامعية الزاوية ، كلية الآداب الزاوية ، ع15 ، 2003م.
2. دور الجامعة الجزائرية في التنمية الاقتصادية : الفرد و القيود ، عربي بو مدين ، مجلة الجزائر للعلوم و السياسات الاقتصادية ، العدد7 ، 2016م.

6- الرسائل و الاطاريح الجامعية :

2. نصيرة زوزو ، بنية الفضاء في روايات واسيني الأعرج ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، تخصص النقد الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2010م،
1. حمد بن مسعود بلهد ، جماليات المكان في الرواية السعودية ، رسالة علمية لنيل دكتوراه في الأدب ، جامعة الإمام محمد بن مسعود ، السعودية ، 1426هـ.



فهرس

الموضوعات

الصفحة	المحتويات
	الإهداء
	شكر وعرهان
3-1	مقدمة.....
05	مدخل.....
09	الفصل الأول : تحديد المفاهيم والمصطلحات
10	أولا : مفهوم المكان
10	1- لغة.....
11	2- اصطلاحا.....
13	ثانيا : مفهوم الفضاء
13	1- الفضاء لغة :
13	2- الفضاء اصطلاحا
16	ثالثا : مفهوم الحيز
16	1- الحيز لغة
17	2- الحيز اصطلاحا
19	الفصل الثاني : جماليات المكان و علاقته بالعناصر الروائية
20	أولا : الاماكن المغلقة والاماكن المفتوحة
20	1- الاماكن المغلقة.....
30	2- الاماكن المفتوحة
36	ثانيا : المكان وعلاقته بالعناصر الروائية
36	1- المكان وعلاقته بالشخصية
40	2- المكان وعلاقته بالزمان
43	3- المكان و علاقته بالوصف

48 الخاتمة
50 ملحق
54 قائمة المصادر و المراجع
60 فهرس المحتويات